



رواية

أخت

عقاب

محمد عصبي الغامدي

ح محمد عصبي الغامدي ، ١٤٣١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الغامدي ، محمد عصبي
أخت عقاب. / محمد عصبي الغامدي. - الطائف ، ١٤٣١هـ
١١٤ ص ١ . سم
ردمك: ٠٠-٥٦٧٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- القصص العربية ا.العنوان

١٤٣١/٧٢٧٢هـ

ديوي ٨١٣,٠٨١

رقم الإيداع: ١٤٣١/٧٢٧٢
ردمك: ٠٠-٥٦٧٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

وصلت إلى مدينة جدة للدراسة في جامعة الملك عبد العزيز بعد حصولي على الثانوية العامة وكان قبولي في الجامعة متأخرا وذلك لأنني لم انجح ألا في الدور الثاني وقمت بتوقيع تعهد بعدم مطالبة الجامعة بسكنحيث لا يوجد في تلك الفترة أماكن خالية في الإسكان الجامعي وبدأت الدراسة ...

سكنت عند بعض الزملاء في بيت شعبي في حي القريات لكنهم كانوا كثيرين ورأيت انهم قد قبلوا ان اسكن معهم خجلاً ثم تعرفت على زملاء آخرين في وسط البلد . خلف فندق الرحاب فأعجبني السكن هناك فانتقلت اليه... وكان مناسباً جداً.

كانت تلك الحارة ولا زالت من أهم الأحياء التجارية في مدينة جدة و كنت اقضي بعض الأوقات في السوق.. حتى راقت لي التجارة واستأجرت دكان صغير في أسفل العمارة التي اسكن بها من صاحبة العقار وأخذت اجمع فيه من كل ما خف حمله و ثمنه من هدايا وعطور وغيرها واعمل في المحل بعد عودتي من الجامعة حتى اتفقت مع شاب من أصل يمني وأدخلته شريكاً وأستلم العمل في الدكان .وسارت الأمور معنا جيدة جداً ..واستغنيت عن المصروف الذي كنت آخذه من ابي بل كنت ارسل الى أهلي بعض الهدايا واشتريت سيارة واصبحت في حالة مادية جيدة حتى فكرت في ترك الجامعة لولا خوفي من ابي وكنت عندما اسافر الى القرية عادة اذهب معي بهدايا للوالد والوالدة بالإضافة الى بعض النقود ومستلزمات البيت حتى كبرت في عينيهما وذاعت شهرتي في القرية انني من كبار تجار جدة (هكذا كنت اتخيل)...

تسكن في تلك العمارة التي نحن بها.. أرملة ولديها بنتان أحدهن قد تزوجت من شاب يعمل في مستشفى باب شريف بجدة هو عبد الجليل ابو رقبه وكان ابن عمها أما الأخرى فما زالت صبية أنسة ... ونشأت لي مع عبد الجليل علاقة حميمة جداً ... حتى كأني اعرفه منذ طفولتي وكنت ازوره كثيراً..... وإذا تاخرت فإنه يأتي يأخذني من المحل فنذهب سويا الى البحر او الى الشقة التي اسكن بها انا وبعض الطلاب

عدت إلى المنطقه الجنوبية بعد اكمال دراستي الجامعية وعملت في قرية قريبة من قرينتا قرية الحفياء وهي من القرى الكبيرة في المنطقة بل حاضرة القرى المحيطة بنا من ضواحي مدينة بالجرشي..

بعد فترة من تعييني مدرساً طلبت مني أمي أن اذهب معها لزيارة بيت خالي عبد القادر..... حتى اتعرف على خطيبتتي التي ترى انها البنت المناسبة لي وأنها قد اختارتها .. فذهبت معها ..

كنت اعرف ابنة خالي سلوى منذ الصغر وكانت فعلا تعجبني لكن أمي ارادت ان تتولى أمر الخطوبة... .. ذهبت أنا وأمي وقابلتنا زوجة خالي ورحبت بنا وأدخلتنا الى المجلس.. ثم اتت سلوى بالقهوة .. كنت في جلسة رباعية ممتعة فهي الوهلة الاولى التي اجلس فيها مع فتاة صبية من قرينتا لكن خوفي من أمي أربكني كثيراًكنت انا وسلوى نعرف الموضوع الذي جننا من اجله انا وأمي وكنت متأكد أنني لا أملك حق الرفض مادامت الوالدة قد اختارتهافهي ابنة اخوها وكفى اما الخطيبة فهي لا تملك من أمرها أكثر مما أجده أنا إلا أنني كنت سعيدا جداً وظهر لي انها سعيدة كذلك ..

كانت سلوى في ذلك الموقف قوية وكانت تملأ البيت كلهكانت تحضر القهوة والشاي والفاكهة تخاطب والدتها وكذلك والدتي ... تبتمس وترحب بنا وتسال الوالدة بعض الأسئلة (كانت تلك الأسئلة لمجرد فتح الكلام فقط) وأنا مثل من يجلس في قاعة الامتحان او يستجوب من قبل الشرطةانتظر أي سؤال يوجه إلي..... ثم أجيب عليه بتثاقل واختصار شديد ..

كانت تبادلني نفس النظرات الخجولة إلا أنها كما ذكرت في موقف أقوى من موقعيكنا ننظر إلى بعض بنوع من الحذر والاحترام لمقام العادات والتقاليد التي تحكم أهل القرية ونراعي أيضا مايجوز وما لا يجوز... لذلك كانت كل حركاتنا محسوبة..... استطعت أن استخرج من نظرتي اليها بسمه أو بسمتين وأحيانا نصف بسمه واستطاعت هي أن تجعلني أكثر حرية بعد ان وجدتها جريئة ومتماسكة وتكلمني مباشرة.... فأطلقت في الكلاموأخذت

اسأل عن اولاد خالي وبناته لكنني كنت اوجه الكلام الى زوجة خالي لا الى خطيبتي التي كانت تتولى الإجابة احياناً عن امها .. كنت سعيداً من تماسكها في ذلك الموقف عندما كانت تبحث مع الوالدة بعض الأمور.... وكنت أرى في التفاتتها نحوي ابتسامة دافئة يرتاح قلبي لها وتصفق لها أضلاعي فرحاً ...

وكنيت في نفسي بين خوف من أن تكون تلك الابتسامة شفقة بي ..وبين أمل أن تكون خطبتي لها قد صادفت هوى في نفسها كانت تنتظره..... وأنها مسرورة بالخطوبة ايضاً وأخذت تعبر عن فرحتها ولكن بطريقة أقوى مني.... وكنيت أرى أنها انسأقت ببرأة الحديث لكي تظهر لي إنها بارعة في تناول أي موضوع يطرح.. وإنها اجتماعية ..وسهلة المعاشرة.... وأحس احياناً أن الكلام موجه لي أنا رغم انها تنتظر مباشرة الى أمي .. ولكن بطريقة غير مباشرة...

احسست احياناً ان زوجة خالي ترثي لي من الحالة التي كنت بها .. وتحاول أن تجعلني اضحك او اتكلم أما والدتي فقد تركت لي حرية الحركة أو الانطلاق وان كان صمتي فيما رأيت انه قد أسعدها ... وترى ان هذا هو قمة الأدب والإحترام الذي يجب ان اكون عليه في مثل هذا الموقف .. وكنيت بذلك انفذ توصيتها قبل ان نذهب اليهم ..

(هاه ... انتبه ... لا تخليني اترك الموضوع وأقوم ... خليك مؤدب .. انا اعرفك شقي ... لا تكون قليل ادب .. بيوت الناس مافيها الحركات اللي تسويها هنا ونسامحك عليها ... شوف .. والله اهينك قدامهم .. خلي بالك ... انا استحي من خالك .. ثم خلهم ياخذوا عنك فكرة طيبة ..) ثم اسأذنت الوالدة منهن وعدنا الى البيت وقد انتهت الخطبة او النظرة الشرعية كما تسمى بين اهل القرية ... ولم تسألني الوالدة بعد ذلك عن موافقتي على الزواج من سلوى من عدمه بل اخذت في ترتيب الأمور على اساس ان الموضوع منتهي وكأنها هي التي ستتزوجها ..

كانت بين وقت وآخر تطلب مني زيارة بيت خالي لكنني كنت متردد وارى ان ذلك قد لا يكون لائقاً قبل عقد القران او(الملكة) ولم اذهب اليهم إلا مرتين خلال ثلاثة اشهر ..ثم تزوجنا ..

كانت سلوى كل شئ في حياتي ومضت سنتين على زواجنا ونحن في أحسن حال كانت عرى المحبة بيننا تتوثق كل يوم . لم ننجب اطفالا خلال هذه الفترة لكنني كنت انتظر من سلوى ان تشعرني في كل يوم إنها حامل . سيما وأنا ذهابنا ذات مرة الى الطبيب وأخبرنا ان كل شيء طبيعي وقد يكون الحمل في أي لحظة ..

وجدتها ذكية جدا تفهم ما أريده قبل أن أتفوه به.... كانت تقول إنها تقرأ في عيوني كل ما أفكر فيه لذلك عشت أيامي سعيداً جداً اشعر أنها تطلب سعادتي في حديثها وفي تصرفاتها وحتى في ملابسها وأشياءها الخاصة.... كنت أحسها الدفء الذي يحتاجه قلبي والطمأنينة التي ارنو إليها .. والراحه التي انشدها ..

كانت الحياة في القرية كلها نشاط وحيويةكان بيتنا في طرف القرية وبإمكان النساء أن ينتزهن في حديقة البيت بحرية تامة . كان والدي يعمل سائقا في ادارة الدفاع المدني بالمنطقة وكانت مستوى معيشتنا في بداية حياتنا متوسطة لكن بعد أن توظف أخي سعيد والذي كان رقيب في مركز الشرطة ثم توظفت أنا مدرساً تحسنت حالتنا المادية كثيرا وأصبحنا من أفضل أهل القرية دخلاً . بعد تقاعد والدي من العمل اصبح يعمل في تربية النحل وبيع العسل وكان دخله من ذلك مناسباً . قمنا بعمارة البيت الذي نسكنه وتم تخصيص الدور الأول والمكون من شقتين كبيرتين للوالد أما أنا وسعيد فقد استقل كلا منا بشقة في الدور الثاني ..

كان أخي سعيد هو مثلي الأعلى وكنت أحسبه صديقاً أيضاً وكل شئ بالنسبة لي . وكثيراً ما كنا نخرج للنزهة والزيارة سوياً... مرت بنا الحياة في القرية كعائلة مترابطة يجمعنا حب بعضنا وكذلك قوة شخصية ابي وخوفنا منهفقد كان قوي البنية الجسمية ويهابه الذي يقابله كنا نخشى عقابه جميعاً حتى الوالدةحتى وأن غاب عن البيت فقد كان كثير السفر ..الا ان الوالدة كانت تستلم الدور الذي يقوم به في مراقبتنا وأصدار الأوامر في حالة غيابه..وحتى بعد زواجي انا وسعيد ...

فلا يمكن لأحدنا مغادرة البيت دون ان يخبرها بوجهته.... وكم من الوقت يمكن ان يستغرقه غيابه عن البيت... لكنها كانت تحب زوجتي وزوجة سعيد كثيراً.... لذلك فقد كانتا هما اللتان يمتصا غضبها علينا عندما نتأخر خارج البيت او ننشغل عن زيارتها والجلوس معها عندما يكون الوالد غائبا..

كان اخي سعيد يعمل في شرطة بلجرشي القريب من قرينتنا وكان دائما محل فخري واعتزازي خصوصا عندما اراه لابسا بزته العسكرية.. كنت اراه في نظري ليس رقيب شرطة فقط.. بل كنت أتخيله عقيدا او مقدم او غير ذلك من الرتب العسكرية العليا..... هكذا كنت اراه بعيني التي تمتلئ بالفخر عندما انظر اليه..... ناهيك عن قوة شخصيته ووسامته التي تجعل شخصيته العسكرية اكثر وقارا واحتراما بين كل الناس ..

سافرت الى مدينة جدة بعد غيابي عنها فترة طويلة بعد تخرجي من الجامعة ..

كنت قد اشتقت الى زملائي في العزبة حسين عباس وخالد عمودي وطلال ابو تاج بالإضافة الى الصديق العزيز عبد الجليل ابو رقبة .. هؤلاء كانوا زملائي أيام اقامتي في جدة ودراستي الجامعية ..

سكنت في فندق الرحاب بوسط البلد.....وفي اليوم التالي بدأت في التجوال داخل المدينة فمررت اولاً بالدكان الذي كنت املك تجارته إلا أنني وجدت انه قد غدى متجراً لرجل لا اعرفه..... فسألت عن عبد الجليل فقال انه انتقل الى عمارته الجديدة في شمال جدة ..كما ان الجيران في المحلات التجارية المجاورة قد تغير بعضهم ولم تعد تلك الوجوه التي اعرفهاحتى وان كانت البضاعة هي نفسها والياфطات الموجودة على أبواب المحلات بنفس الأسماء تقريباً.... إلا أن العاملين بها قد تغيروا..... كانت غالبية العاملين في السوق من الجنسية اليمنية قلت في نفسي لابد ان اقابل زملائي لكنهم في الدوام الآن ولن اذهب إليهم الا ليلاً... خرجت لأمشي في الأسواق المحيطة بالفندق ثم اتجهت الى الخاسكية واتذكر ايامي عندما كنت اشترى بضاعتي من تلك الحارة ...

خطر ببالي بعد العصر اولاً زيارة احد أصدقائي المقربين وهو طلال أبو تاج الذي كان يسكن في تلك الحارة. وكنا نجتمع ندرس سويا في بيته .فاتجهت الى المنزل وكلي شوق أن أراه واجلس معه واسمع أخباره واين اتجهت به قافلة الحياة.

عندما طرقت الباب خرج لي رجلا هنديا أو باكستانياً... لا ادري... هكذا عرفت من لهجته.

- هذا بيت طلال ابو تاج.
- راح....هذا راح من زمان.
- فين راح...؟.
- هذا نقل بيت جديد.
- تعرف مكان البيت....؟
- لا.....اعرف رقم تلفون.
- أعطني رقم التلفون إذا سمحت.
- نقلني رقم التلفون ونزلت الى السوق واتصلت به.

- السلام عليكم.
 - وعليكم السلام...كان صوت امه التي اعرفها.
 - أنا يوسف رضوان زميل طلال ايام الدراسة.
 - حياك الله.....انت فين؟
 - انا في البلد...كنت اريد ان اقابل طلال اسلم عليه .
 - طلال في العمل الان انه في العمل الإضافي .
 - هو فين يشتغل...؟
 - في البريد...قريب منك.
 - اعطيني رقم تلفونه لو سمحت...
 - ... اخذت رقم تلفونه واتصلت به.
- عند ذلك وصف لي مكان عمله وذهبت اليه..... كان مسرورا جدا عندما دخلت الى مكتبه وتعانقنا كثيرا وجلست عنده فترة ليست بقصيرة واخذنا الحديث في امور شتى منذ تخرجنا من الجامعة ثم طلب مني ان اذهب معه الى البيت لكنني اعتذرت منه في تلك الليلة كان يسكن في بيت جديد في شارع المكرونة وتواعدنا ان نلتقي عنده في الغد بعد ان وصف لي مكان بيته الجديد....وقلت ربما اقابل الليلة بعض الزملاء ..لكنه قال لي :
- الزملاء لا تذهب إليهم اليوم.....غدا أنا سأكلمهم ونلتقي في البيت جميعا.واتفقتنا على ذلك وغادرت مكتبه.
- وفي اليوم التالي ومنذ ان دخلت البيت نادى على والدته التي اعرفها منذ أيام الدراسة وكانت تقدرني بحكم علاقتي مع ابنها طلال...:

كنت مسرورا برؤيتها وكان لها فضل كبير ايام الدراسة....كنت احسبها مثل والدتي....انها الإنسانية القديرة الكريمةكانت تعاملني مثل ابنها عندما اذهب الى طلال للدراسة في بيته...

في تلك الليلة جمع طلال اغلب زملاء العزبة والدراسة وكان من ضمن الحضور حسين عباس واحمد عزام وخالد عمودي ..

كان حسين عباس من الزملاء اللذين لم تنقطع علاقتي به حتى بعد التخرج.....فاتصالاتنا التلفونية لم تنقطع.... انه من الزملاء اللذين اكنّ لهم كل

تقدير واحترام من ايام الدراسة .وكنت اعرف انه يقدرني ايضاً وكنت انا وهو وطلال ابو تاج من اوائل الطلاب في الدراسة....

عندما تلاقينا كانت ليلة من أجمل ليالي العمر وكان كل شئ فيها جميل... لازال حسين عباس وخالد عمودي في نفس الشقة التي كنا نسكنها... فانتقلت من الفندق وسكنت عندهم خلال فترة بقائي في جدة.... كانت أيام صيف والدراسة قد انتهت ونحن في أيام العطلة فجلست معهم عشرة أيام..... نسيت خلالها زوجتي وأهلي وكل المنطقة الجنوبية... كنت أجهّز لهم الغداء حتى يعودوا من دوامهم فحسين عباس يعمل في إدارة التعليم وخالد عمودي في ادارة الاوقاف ...

كنا نذهب بعد صلاة العصر اوبعد المغرب إلي البحر وكانت هذه مثل حصّة يومية ونبقى بجانب البحر وكأننا نستنطقه عن أيام الشباب التي غمرنا ذكرياتنا تحت أمواجه... نذهب ايضاً إلى الأسواق الجديدة وإلى الكازينوهات المواجهة للبحر.

قمت بزيارة عبد الجليل في بيته... كانت زيارتي له في آخر ايام اقامتي في جدة الا انني فوجئت ان الرجل متعلقاً بي ولا يريدني ان اسافر...كما انه اصر على ان اسكن عنده في البيت وان لا اذهب الى الزملاء وتحت الحاح طلبه بقيت عنده ليلتين قبل ان اعود الى القرية .. كان بيته واسعا وكنت انام في الدور الأرضي منه..... اما هو وعائلته فهم جميعاً بالدور الثاني ..

في صباح اليلة الثانية وكان يوم الجمعة... أستيقضت مبكراً .. حوالي الساعة السابعة.. كانت تمشي في حديقة البيت فتاة في مقتبل العمر ..كانت تقراء في كتاب في يدها .. احسبها رواية.. كانت جميلة جداً كل شئ فيها جميل.... صورتها.. صدرها الملموم .. أرنبه انفها الذلفاء جسمها المربعو المكنز وحتى جمالها احس انه فوق

- هل تقيم معك في البيت ...؟
- بل هي تسكن عندي اصلاً... أمها متزوجة من قريب لنا في الإمارات.. وهي لا تريد ان تذهب الى الإمارات الآن.. علشان شغلها ... انها تعمل في المستشفى...
- هي ليست بحاجة للعمل اعتقد اليس كذلك ...؟
- صحيح لكنها تريد ان تخرج من الوحدة..
- ليست متزوجة ..؟
- كانت متزوجة من سفيان بكري الله لا يذكره بخير .. لكنها على خلاف معه وربما تتطلق منه.....
- لا اله الا الله سفيان بكري ..؟. ايش طيحها فيه ..
- النصيب ثم انا .. كان زميلي في المستشفى في باب شريف ..
- ليش ما سألتني عنه؟... كان زميلي في السكن ... (انه ذلك الرجل الذي لا يمكن ان استعيد صورته الا بكراهية فكيف عاشت هذه المسكينة معه ... انه متعب جداً) ..
- كان عمى قلب .. ولا تسألني عن المكتوب ..
- وكيف تذهب الى العمل ..؟
- تذهب في باص المستشفى وتعود معه ايضا ...
- جزاك الله خير
- حاول ان تصلح بينهما ... وأن كنت متأكد انه صعب جداً
- خلها على الله انني في حيرة من امرها وعسى الله ان يفرجها ..

عدت الى القرية وفي قرينتنا أمام المنزل كانت هناك شجرة كبيرة من
أشجار العرعر وكنا نستمتع بضلالها في أوقات الظهيرة أو فترة ما بعد
العصر وكنت جالسا لوحدي ذات يوم تحت تلك الشجرة بعد صلاة العصر ...
كانت الغيوم تسحبها الريح ثم تبثها في الأفق بأشكالها الجمالية المختلفة
لتبسط على الأرض ظلاً كاملاً..

الرطوبة تملأ الأفق.... أطراف الجبال المطلة على سهل تهامة... يبدأ الضباب
يحاصرها من الجهة الغربية.... كان الجو رائعا.... قمت إلى أعواد حطب
جمعتها من حول الشجرة وأشعلتها أمامي لا ادري لماذا... أشعلتها فقط كان
علي أن افعل شيئاً في ذلك الجو الممتع..... كنت مسروراً أحطم في النار كل
الأعواد المتوفرة أمامي والنار تزداد ضراوة وحمقا..

كان المكان يطل على الوادي المنسدل بين جبلين والبيوت على أطراف الوادي
بطلائها الابيض مثل عقد اللؤلؤ..... في تلك اللحظة بدأت استعيد صورة
تلك الفتاة التي رأيته في بيت عبد الجليل.. بل رسمت لها في مخيلتي
ألف صورة وصورة.... كنت أستعيدها وكأني اسحبها من الذاكرة
لأضعها بين أجفاني التي اخذت في تكبيرها حتى كأنها أمامي..

وازددت تعلقا بها وشوقا اليها ونهما لا اعرف حدوده.... كنت شغوفاً اريد
ان اتذكر كل جراحة منها.... وبدأت احدث نفسي بالزواج منها ان
سارت الأقدار كما اتمنى وتطلقت....
لقد قررت في نفسي أن تطلقت وقبلتني فسوف أتزوجها ولن أتركها تذهب
بعيدا عني ابداً... سيما انني متزوج منذ اكثر من سنتين ولم انجب من
زوجتي وقد يكون ذلك عذراً مقتعاً..

كانت قرية الحفياة قرية كبيرة..... يقع بيتنا في طرفها وكان فناء البيت
كبيرا مفتوحا لاتغلق عليه اسوار..... وسياراتنا تقف في ذلك الفناء..
كانت ارضية الفناء ترابية وتحف بالبيت بعض الاحواض التي زرعت بها
نباتات الريحان والورد والنعناع ..

تحت شجرة العرعر كان هناك حائط صغير يجلس خلفه النساء يبتعدن به عن أعين المارة من الطريق القريب من البيت .. فيستقبلن بذلك الوادي ومباهجه ورياضه ولا يراهن احد .. لذلك فأنهن كثيرا ما يجلسن في ذلك المكان .. اما ما تحت شجرة اللوز القريبة منها فقد كان مخصصاً للرجال وجلستهم

كانت هناك بعض المدرجات الزراعية في الوادي تستغل لزراعه البر والشعير والذرة وبها بعض الخضروات التي تزرع في فصل الصيف .. اما في وقت الشتاء فان الجو يكون قارساً ولا يصلح لزراعة تلك الخضروات..

كانت الطريق الموصلة بين تلك المدرجات والبيت الذي نسكنه عبارة عن طريق رجلي قديم منحدر مرصوف بحجارة بعرض مترين في اغلب الاحيان ثم يضيق الى المتر الواحد في بعض الأماكن..... وتحيط به اسوار من الحجارة المبنية بحيث تحد بين الطريق وبين المزارع والاراضي المجاورة لها..... ومع كثرة استطراق تلك الطريق اصبح اغلب اهل القرية يحفظون تلك الرفص والاعتاب عن ظهر قلب..... حتى لو مشى فيها أحدهم مغمض العينين.. فانه يعرفها بالذاكرة التي ارتسمت في عقولهم وقلوبهم على مر الايام .

وفي بداية تلك الطريق مما يلي البيت كانت هناك بعض المدرجات الصغيرة (جنبا) مزروع فيها بعض اشجار العنب والتين واللوز والبرشومي ويجلب لها الماء عن طريق الدينموات ومواسير البلاستيك من الآبار المحفورة في بطن الوادي.. كما ان بعضها لا يحتاج الى سقاية .. كانت المزارع التي في بطن الوادي محاطة بأشجار كبيرة من اشجار الغابات كالعرعر والعتم (الزيتون) وكانت تلك الاشجار هي المكان المناسب للقبولة والراحة في فترة الظهيرة لاهل القرية عند الذهاب الى المزارع للسقاية او الحرث او جني المحاصيل وحتى للنزهة والترويح عن النفس احيانا...

ينحدر عبد الجليل من اسرة غنية كان والده هاشم ابورقبة وعمه سالم شريكان في تلك التجارة وقد توفي عمه سالم وخلف زوجته وبناته ايمان ورباب ثم توفي اخوه ايضا...ومنذ ان توفي والد عبد الجليل استلم اخوه الأكبر طاهر التجارة وكان يديرها بموجب تفويض من بقية الورثة على ان يأخذ نصف المكسب والباقي يوزع على الورثة بموجب الحدود والفرائض الشرعية وكان لبنات عمه ايمان ورباب وأمه حصة في هذه التركة....

كان عبد الجليل اصغر الاولاد وتوفت والدته منذ صغره وتربى عند زوجة ابيه ام طاهر حتى كبر ثم تزوج من ابنة عمه ايمان...

تزوجت البنت الكبرى ايمان من ابن عمها عبد الجليل اما اختها الصغيرة رباب فقد تزوجها سفيان بكري..من زملاء عبد الجليل في العمل في إدارة مستشفى باب شريف وكان من الزملاء المقربين له..كان من سكان مدينة جدة..وكان يعجب عبد الجليل فيه اندفاعه في وجه مدير المكتب دائما كلما انتقده في شئ او اعاد اليه معاملة لم يحسن تحريرها فكان المدير دائما على خلاف معه... وخوفا من زيادة الخلاف مع سفيان بكري كان المدير يعيد اغلب معاملاته الى عبد الجليل لصياغتها من جديد وكان عبد الجليل حلقة وصل بين كلا من مدير المكتب وزميله..

كان سفيان بكري من اسرة طيبة لكنه متقلب المزاج سريع الانفعال..... تطلقت امه منذ الصغر وتربى عند والده في اسرة كبيرة لكنه كان مهملا مما ادى الى عدم شعوره بالامان في حياته..

عبد الجليل تعود على طبائع سفيان...حتى اصبح يحل له اغلب مشاكله في العمل وكان سفيان كلما ضاقت به الدنيا يلجأ دائما الى عبد الجليل وسارت الأمور على ذلك فترة من الزمن..ثم تطورت الى ان خطب سفيان في أخت زوجة عبد الجليل.... رباب سالم ابورقبة ثم تزوجها... كانت تجمع بينهما تشابه في الحياة الاجتماعية.... فهم من عائلات تجارية عريقة... فعبد الجليل كان ابوه وعمه من كبار تجار القماش ثم استلم

التجارة بعده ابنه طاهر الذي حول ميراث والده الى شركة له هو وأخوته وبنات عمه ..

اما سفيان بكري فأن والده تاجر ايضاً ولديه محلات تجارية في اسواق جدة في بيع العطور والخردوات وغيرها .. لكن ارتباطه بعائلته كان ضعيفاً .. فعندما وصل الى المرحلة الجامعية من حياته انتقل ليعيش مع بعض زملاء الدراسة وترك البيت والعائلة وعاش بعيداً عنهم ..

انتقلت رباب الى بيت زوجها سفيان بكري في شقة استأجرها في الهنداوية قريبا من عمله ... وكان زواج رباب من سفيان بكري دون موافقة صريحة من ابن عمها الكبير طاهر فقد كان يرى ان لا يتزوجها هذا الرجل لأنه لا يعرفه كثيراً... لكن إصرار عبد الجليل على سفيان جعلهم جميعا يحملونه ما يترتب على ذلك الزواج من تبعات بحكم ان الرجل زميله في العمل ويعرفه اكثر منهم ثم ان عبد الجليل متزوج من اختها مما يجعله اكثر المقربين لها وادري بما يصلح لها اكثر من غيره ..

كانت رباب جميلة جداً وكانت محل احترام ومحبة وتقدير الجميعوعندما لاحظوا رغبتها في الاقتران بذلك الرجل وإصرار عبد الجليل عليه لم يجدوا بداً من مباركة هذا الزواج فالغيب لا يعلمه الا الله ...

كانت ثروة هاشم ابورقبة (ابو طاهر وعبد الجليل) واخوه سالم ابو ايمان ورباب .. كبيرة جدا ومحلاتهم التجارية منتشرة في كل اسواق جدة ... حولها طاهر الى شركة كبيرة تقوم بتجارة الجملة والتجزئة في المواد الغذائية والملابس والأقمشة والعطور وغيرها

وجدت رباب بعد زواجها من سفيان بكري بفترة... ان زوجها يكثر الحديث عن ثروة ابيها وأنها لابد ان تكون في بحبوحة من العيش الرغد وانها من أصحاب الثروة في البلد ... ولا بد ان يظهر عليها آثار النعيم والغنى امام الناس وأن نصيبها من الثروة لابد ان يسلم لها كل شهر.....

أدركت رباب ان زوجها يهدف الى الاستيلاء على مالها وان المقصود بزواجه منها هو المال فقط وأنها هي (فوق البيعة) وبدات لا ترتاح له ولا لمعاملته لها ..

بعد مرور فترة على زواجها بداء سفيان يطلب من رباب ان تطالب من طاهر وعبد الجليل عزل حصتها في ارث ابيها حتى لو بتقديم شكوى في المحكمة بذلك .. ثم يفتح له معها مشروع خاص بها.... ويشرف على اموالها وتجاريتها.... لكنها قد لاحظت ولمست من ذلك انه يريد ان يستولي عليها والله اعلم بما سيكون بعد ذلك....ومنذ ذاك غدت لا تأمنه وقررت ان تتجاهل كل مطالبه من هذه الناحية حتى تتأكد من نواياه اولاً..... فلم تسمع له ..ورغم انه كان يهددها بالطلاق من اجل ذلك. الا انها كانت حذرة منه وتعلم انه الإبتزاز بعينه... لا زالت لم تنجب منه خلال هذه الفترة.....

- لقد مضى على زواجنا سنة تقريباً وأنا وأنت في هذه الشقة الصغيرة ولو طلبت حصتك من مال أبيك لكنت حالتنا افضل من هذا الحال بكثير..
- ليس الان..... وأنا لا استطيع في الوقت الحاضر ٠ فابن عمي طاهر يستثمر المال لنا ولا زالت شركتنا تعمل لنا جميعاً ..
- لكن من حقنا ان تتغير حالتنا الى الأصلح فنحن كما ترين في الهنداوية وهي حارة قديمة ونريد ان نسكن في شمال جدة مثل بقيه الناس ..
- ما عندي مانعاين راتبك.....؟.....سوي زي الناس من راتبك... ابحث لنا عن ارض ثم نبني عليها او اطلب انت من ابوك فهو تاجر ايضا مثل طاهر ..
- ابي منذ ان تزوجتك وهو زعلان عليّ كان يريدني ان اتزوج من ابنة عمي .. بل ان ابي يكرهني منذ ان طلق امي وأنا صغير ..
- اذا.... اتركنا على هذه الحالة وأنا لم اطلبك بالمزيد... نحن بخير..... وفيه ناس اقلّ منا وعاشين ... ولا داعي لمطالبة أخواني وإقامة دعاوي في المحاكم. وأنت أيضاً لا تطلب من ابوك شيء ..
- لماذا دعاوي ٠٠ هذا ولد عمك طاهر حرامي وأنا أخاف انه يأكل كل شيء ثم تطلعين انتي من المولد بلا حمص...

- ابن عمي طاهر لا يأخذ من مالنا أي شئ وقد كان والدي وعمي يستامنونه على المال قبل ان يموتوا وهو إنسان مخلص ومستقيم ولا داعي ان تتكد عليه طالما هو يرعى مصالحنا ٠٠ وجزاه الله خير..
 - انا لا اعرف كيف تفكرين..... أنت فيك بلاده لم أعهدا في إنسان ٠٠ نقول لك هذا الرجل ياكل مالكم كله هذا رجل حرامي تقولين جزاه الله خير ..
 - لن اطلب ذلك من عيال عمي حتى لو أموت من الجوع ..
 - يظهر ان الكلام معك خسارة
 - يرحم والديك سيبنني من هذا الموضوع ٠٠ وحياتنا ممتازة ٠٠
- تكررت هذه المناوشات الكلامية مع تهديد سفيان بكري لزوجته بالطلاق إلا أنها لم تأبه بذلك... وكانت كالصخرة في وجهه من هذه الناحية ..

بينما كان عبد الجليل جالسا مع رباب... كان يرى في وجهها آثار الخوف والندم فسألها.

- كانك غير مرتاحة مع سفيان.... اليس كذلك.
- ياخي هذا انسان غريب... انني احس انه وحش يريد ان يبتلعني... لم احس بالراحة كزوجة... لم احس انه تزوجني كزوجة يريد ان يقضي معها حياته الى النهاية...
- كيف...؟
- احس انه يريد مالا... يرى انني الثروة التي يجب ان يستولي عليها... في اقرب فرصة.
- طيب انت عنده الآن.. واذا كان يقصد حصتك من الثروة.. فهذا الشي سيكون لك انت واولادك مستقبلا...
- اولادي.. هو يريد الفلوس الآن..
- نحن لم نقسم الثروة بعد.... وطاهر ما هو مقصر ويخدمنا جميعا.
- من اجل ذلك... يقول لابد ان تطلبي حقه من ارث ابيك.
- هذا الامر غير مطمئن.
- ارى انني لو اعطيته ريالاً واحدا سيشتري فيه الجشع.. انه يساومني الان.. على طلاقي.
- طلاقك...!
- نعم طلاقي.. وارجو ان تكون انت بعيدا عن الموضوع فهو يريد الثروة او طلاقي.
- وانت ما هو رايك...؟
- رايي انني انا اريد الطلاق.
- انت تريدين الطلاق...؟
- نعم... امنيتي... ان الحياة معه لم تعد تطاق ابدا.
- تريدين مني ان ابحت الموضوع معه.....؟
- ابدا... اياك..... انا اريد ان يتمادي حتى يطلقني.
- وانا ارى ان هذا اصلح..

- اخذت تلك المواقف طابع التتابع الحثيث حتى اصبحت شغل
سفيان بكري الشاغل فهو يريد المال في اقرب وقت وغدى يتأخر عن
زوجته ويتعمد التباطؤ في احضار طلبات البيت حتى طلبت منه
يوما ان ياخذها الى بيت عبد الجليل فأوصلها الى هناك وتركها
وفي صبيحة يوم من الايام دخل سفيان بكري واعطى زميله عبد الجليل
ضرفاً وجلس على مكتبه فلما فتحه وجد انها ورقة طلاق رباب ..
- طلاق رباب ليش؟ بماذا اخطات حتى تصل بينكما
الامور الى هذا الحد؟ وكأن ابنة عمه لم تخبره بشيء
 - رباب تدري ..
 - وانت لا تدري ؟
 - هي تقول لك
 - ما المشكلة التي اوصلت الحال بينكما الى الطلاق ...؟
 - هي تدري ...
 - وأنت ما فيه أي حل عندك غير هذا الحل ...؟
 - انا ما عاد عندي حل خلها هي تحلها وإلا بكيـفها ...
 - هل تقصد ان الحل عند رباب؟
 - نعم اذا أرادت
- ترك مكتبه عبد الجليل الذي لم يعد يسعه وذهب الى ابنة عمه
فوجدتها جالسة مع اختها ..
- عندما وصل عبد الجليل تكلم في هذا الامر مع زوجته ايمان
منفرداً وجلسا معا بعيداً عن رباب وبداء يمهد لأختها.. لكي تخبرها
بالخبر ا الذي يحمله من زوجها سفيان بكري لكنها كانت متوقعة ذلك الخبر
فلم تفاجأ به.....
- فناداتها واخبرتها هي وعبد الجليل بالموضوع ..
 - فرحت رباب كثيراً بطلاقها منه وأخذت ورقة طلاقها وقالت ...:
 - دعني احتفظ بها انا فهذا احسن خبر احسب انني تلقـيته من بعد
زواجي من ذلك اللئيم
 - كأن ما صار شيء.....! اشوفك ما زعلت....؟

- بالعكس لقد اتى به الله بدون تعب .. تصدق انني كنت انوي ان اساوّمه على طلاقى .. والله سبحانه قد جاء بها ببلاش ..
- لماذا...؟
- اشياء كثيرة قد وجدتّها فيه وقد قلت لك عن بعضها ولا يمكن لي ان أكمل حياتي مع شخص من هذا النوع ان الموت أهون لي من البقاء معه
- انه يقول أن الأمر بيدك
- نعم الآن أصبح بيدي وعليك ان تظهر له أنني تألمت لهذا الخبر حتى تنقضي العدة ..
- ولا تريدين العودة اليه...؟
- ابدأ.... عليك ان توعده بأنني سأفكر في الموضوع او أنني لازلت أريد العودة إليه او إنني سوف ألبى له مطالبه حتى تنقضي العدة الشرعية لكنني.. لو أموت فلن أعود إليه..
- ماذا يريد منك؟
- يريدني ان أتقدم ضدكم بشكوى حتى أعطيه حصتي من ارث والدي ثم يطلقني انه لم يعد له رغبة فيّ انا.... بل رغبته في المال... وإذا أخذه سوف يتركني او يهيئني حتى اطلب الطلاق... بعد ان أتنازل له عن كل شيء... أما انه يريدني كزوجة فهذا الذي لا يفكر فيه أبدا ...
- .. هذا الإنسان .. صعب للغاية وهذه غلطتي إنني ما سمعت كلام طاهر ..
- علشان كذا .. اذاً .. يقول الحل بيدك ...!
- نعم الآن الحل بيدي .. ولن أعود إليه ...
- بعد شهر تقريباً من وصول ورقة طلاق رباب ادركت انها حامل فأختلطت الأمور في نظرها فأخبرت عبد الجليل :
- هناك امرأتهما اريد ان اطلعكم عليه ..
- خير ان شاء الله ..
- إنني حامل....
- على كذا فالطلاق باطل ..

- إلا اذا وضعت مولودي هذا... عندئذٍ فسيكون الطلاق نافذ ...
- لكن الطفل لمن سيأتي ...؟
- لي أنا لا يمكن أن أعود إليه.. (قالتها بخوف وبأندفاع وغضب..).
- ومن يكون أبوه...؟
- يخلق الله ما لا نعلم ..
- إذا أنكر معرفته بالجنين؟
- لن يضيعني الله .. انا وإياه على رب العالمين ... لكنني لن أعود لسفيان بكري مهما كان .. حتى لو اموت ...
- يا بنت الحلال هذا الموضوع ما فيه لعب ولا تصرفات غير محسوبة..
- بل تصرفاتي الآن محسوبة جداً ... وانت والناس كلها تعرفون انه من زوجي الشرعي .. عليك ان تقول له ثم هو وما يمليه عليه ضميره .. وأنا اعتقد ان ما عنده ضمير ... وانه سوف يتخذ ذلك وسيلة ضغط عليّ لكنني لن ارضخ له ابداً..
- وفي اليوم التالي اخبر عبد الجليل صهره سفيان ان زوجته حامل ..
- انا ما عرفها ولا اعرف هذا الحمل الذي تقول عنه... واذا ما تسمع كلامي فانا غير مسئول عنها ولا عن الجنين الذي في بطنها ولا اعرفها ولا اعرفه..
- يا رجل خاف ربك هذا الأمر ما يصلح بيني وبينك أنا وأنت على الأقل... وقد زوجتك رباب بدون موافقة أخي حباً فيك .. واحتراماً للصدقة التي بيننا وأنت بهذا تسبب للبنت فضيحة... وانت تعرف ان هذا الحمل منك أنت..
- لا عاد تقول لي أي كلام اذا راجعت حساباتها فنحن سنعالج الوضع وان أرادت ان تختار هي الفضيحة لنفسها فخليها هي التي اختارت وأنا مالي دخل ..
- يا بن الحلال اتق الله ...
- قلت لك خلاص انتهى الكلام معك في هذا حتى لو بعد عشر سنوات ما هو بس حتى بعد الحمل والولادة ... انا ما عندي كلام غير الذي قلته لك ...

اقتنع عبد الجليل بعد ذلك ان كل ما قالت له رباب كله صحيح... لكن بداء الوسواس يأخذ منه أي مأخذ وأصبح يمسي ويصبح على هم رباب وحملها

..
اخبر أخوه طاهر في هذا الكلام فأشار عليه ان يتركها عنده الآن حتى تتم دراسة هذا الأمرإلا انه حمل همها هو الآخر أكثر من عبد الجليل ... وكان يرى انها لابد ان تعود الى عصمته..

اتصل بي عبد الجليل بعد عودتي الى القرية بفترة قصيرة وطلب مني الحضور الى جدة وسافرت....ومن ثم اخبرني بما استدعاني من اجله ..

- انا واقع في مشكلة كبيرة ...
- خير ان شاء الله ..
- أخبرتك عن بنت عمي .. انها لا تريد العودة الى زوجها ...
- نعم هذا صحيح... اذكر انك قلت لي ..
- لقد طلقها ...
- طيب هي لا تريد العودة إليه اليس كذلك....؟
- نعم هذا صحيح ..
- انا اعرفه .. انه صعب جداً...
- رفضت الرجوع الى زوجها بتاتاً.. رغم اننا فكرنا ان نطلب منه اعادتها الى عصمته طالما انها لا زالت في عدتها ..
- الرجل سيئ.. وأنا اعرفه ..
- جداً..
- والى متى ستبقى عندك .
- هي الآن تعمل ونحن نحترم رأيها فهي عاقلة ومحترمة جداً .. ثم
- قص علي قصتها مع زوجها سفيان بكري ..
- وماهي المشكلة في طلاقها ..
- انها حامل ...
- اذا فالطلاق باطل ولا يمكن ان يقع الا بعد الولادة هذا إذا لم يراجعها خلال هذه الفترة ..
- هذا صحيح لكنها ترفض العودة اليه ابداً مهما حصل ..
- من حقها ... ان الرجل لا يطاق ولا يمكن العيشة معه .. انا سكنت معه سنتين ايام الدراسة..
- لكنه لن يعترف بالمولود لو لم تحل المشكلة....هو يريد منها ان تطلب حصتها من ورث ابيها وتعطيه يشتغل بها ..

- ابتزاز إذا...؟
- زي كذا..
- وهي ترفضه من اجل الفلوس ام للأسلوب الذي يطالب به ..
- لكل شيء هي لا تريد العودة إليه نهائياً..
- من حقها هذا إنسان لئيم ..
- من اجل ذلك طلبت منك الحضور لتساعدني بالرأي.. فأنا أثق بك .. وأدري انك ستقف معي في مثل هذه المشكلة ..
- ما رأي طاهر أخوك وما رأيك انت ..؟
- طاهر قال تبقى عندك حتى نشوف حل لمشكلتها ... طاهر يريد ان تعود إلى زوجها .. بس هي رفضت ..
- هل لي ان اجلس معها حتى استفسر منها عن بعض الأمور بحضورك طبعاً..
- انا ما عندي مانع ... لكنني أقول لها...
- ادخل وقول لها....
- (دخل عبد الجليل وعاد.....) الآن تجي واسألها...
- (دخلت وسلمت وجسلت.)..
- انا زميل عبد الجليل وصديقه وهو مني بمنزلة الأخ وقد اخبرني بموضوع طلاقك من زوجك وقال انك لا تريدين العودة إليه بتاتاً..
- نعم هذا الكلام صحيح ...
- إن عاد الى رشده وأعادك الى عصمته فما رأيك انت ..؟
- لن أعود إليه نهائياً... وقد أخبرت عبد الجليل بذلك ولا داعي للأخذ والرد في هذا الأمر ... انا قد حزمت أمري ..
- وهذا من حقك ... لكن الجنين الذي في بطنك ..؟
- انا اعرف وهو كذلك وأهلي يعرفون انه ابنه ...
- لكنه قد ينكره...
- ادري وكل الناس تدري انه ابتزاز . وهذا الرجل لا يمكن أن أربط بقية عمري معه مادام يساوم على علاقته معي الزوجية بمال ادفعه إليه ... فهذا لن يطأ فراشي مرة أخرى.. حتى لو أموت انني اعتبر انني

اشتري علاقتي معه بفلوسي وقد يتركني عندما يصل المال اليه وبذلك
 اكون قد خسرت كل شيء حتى اقاربي ..
 - الم تفكري في إسقاط الجنين ... ؟..... لماذا تحتفظي به طالما أنت
 تكرهين أبوه ..؟
 - هذا الجنين جاء من اتصال بالحلال وهو قطعة من كبدي ولن
 أسقطه.. ثم انه الآن قد أكمل ثلاثة أشهر.. ولا يجوز شرعاً إسقاطه... ثم
 انني لن اسقطه ابداً..... هذا رأيي ولن اتنازل عنه ..
 - والله انك قوية وأنا احترم رأيك..
 - ... هل تريد ان تسأل عن شيء آخر ... خرجت من فمها بصوت
 مكسور ونبرات ممزوجة حسرة وألماً ..
 - لم يعد هناك اسئلة لكن الأمر الآن يحتاج الى تخطيط واتفاق
 ... حتى تحل هذه المشكلة..

.. (الله.... ما اصعب ذاك الموقف)بقينا في الغرفة جميعنا سكوت
 كلاً منا ينظر الى الأرض ... كنت ارى ان الأرض تدور بسرعة وأن
 الدنيا فيها من الخبث والقذارة اكثر من ان يحتمله انسان ضعيف في
 مقتبل العمر كهذه الفتاة ..
 كنت ارى بين اجفان تلك المرأة انها تختزن تعباً يصعب عليها ان تغمض
 عيناها عليه فيتحول الى حمرة في مقلة العين تتقد كجمرة تكاد تحرق
 العين كلها...
 بقيت وقتاً قبل ان تخرج.....كانت تنظر اليها صامتة وألمح في نظراتها
 تلك... انها قد سخطت على الارض ومن عليها..حتى وصل ذلك السخط الى
 كل شيء فيهاولم يعد للحياة أي طعم او رائحة في مجتمع لايرحم
 ...وعقدت العزم في نفسي انني اقف مع هذه البنت بكل ماتعنيه
 النجدة والشهامة حتى لو سخط عليّ اقرب اقاربي فلا بد ان انقذها
 وأقف معها ...

شرحت لنا عن معاناتها مع سفيان بكري وكنت اجد في عودتها
 بذاكرتها الى الوراء خوفا اخذت تشرحه لنا وتبكي لكن ليس البكاء الذي

اعرفه من قبل بل كانت دموعاً تذرف على صفحات خدها.. كنت ارى الدمعة تترقرق ثم تنساب كأنها تستنجد بكل من يراها كنت استمع الى حديثها فأريد ان ابكي معها احسست انا بوحشة وخوف لا ادري من ماذا لكن اجد في نفسي اندفاع للتضحية بنفسي في سبيل انقاذها ..

- ثم خرجت من الغرفة وبقيت انا وعبد الجليل فقال :
- إتفاق على ماذا..
 - لا ادري لكننا سنفكر ...
 - كيف ...؟
 - لا ادري ... دعني افكر ..
 - لا تطيل التفكير ... انا في ورطة ..
 - اعرف ذلك ولن يكون الا ماتريد انت وبنت عمك بإذن الله
 - في بالي موضوع دعني ادرسه من جميع الجوانب .. حتى نهار الغد ..
 - .. انت وش تفكر فيه ابغى اعرف ..؟
 - أنت أستدعيـتني من القرية ولو لم تكن تثق أنني سأقف معك لم تخبرني بمشكلاتك اليس كذلك ..؟
 - بلى ..
 - وأنا عند حسن ظنك .. أشيل همك .. وأحلّ مشكلتك .. وإلا كيف أكون صديق لقد أعجبتني بأفكارها وثباتها على الحق وبقوة عزمها
 -
 - ماذا تريد ان تفعل ؟
 - اريد ان الحق الجنين بنسبي انا ...
 - كيف ؟
 - انت أخي والموضوع الآن يهمني مثلما يهمك أنت .. وفي حالة ولادتها اعطيك دفتر العائلة على ان تدخل المستشفى بأسم زوجتي وينتهي الموضوع بسلام وهذا الجنين الحقه بنسبي ...
 - وأخي طاهر ..؟
 - طبعا لا بد ان نطلعه على كل شيء ولا بد من موافقته

- الله يبيض وجهك ..
- انتم فصلوا وأنا البس ... وستجدي أخوك الذي لن يخذلك أبدا.. لكن شاورها وشاور طاهر قبل كل شيء..
- بكرة انا أعطيك الرد النهائي ..

وتمت الموافقة على اقتراحي من جميع الأطراف ..

وفي الليلة التالية اجتمعت مع عبد الجليل وطاهر وتمت مناقشة كل شيءاتفقنا انني اسافر بها انا وعبد الجليل الى الإمارات قبل ولادتها لتبقى لدى والدتها الى ما بعد الولادةوسارت الامور كما خططنا لها بكل دقة

اما سفيان بكري فقد تم إيهامه ان زوجته قد أسقطت جنينها ...إلا أنه وعلى أي حال لم يسأل عنها ولم يحاول ان يصلح ما أفسده فكان ذلك فرج قد كتبه الله لرباب من ذلك الرجل

بعد عودتي الى القرية كنت مشغولا بتلك الفتاة التي غدت صورتها مرسومة في مخيلتي واصبحت استعيدها في كل ساعات يومي ..

كنت أسهر أحرس ذلك الطيف بين جفوني..... مثل الشحيح الذي يبات سهران يحرس كنزا ثميناً عنده..... فأحس فعلاً أن ذلك الطيف هو أثنى كنز اكتنزه في حياتي وأخاف ان اغفى ثم يضيعه النوم من بين جفوني ..

كنت أجدها في عيني رسالة اقرأها في كل مساء وإذا فرغت من قرأتها أغمضت عليها عيني لكي لا تذهب وتتركني... نعم إنها الأنس والحياة التي أتمناها ٠٠ والنور الذي أراه من بعيد فأحث ركابي إلى الوصول إليه.. وارى إنها نصف حياتي الباقي التي قضيت نصفها الأول لا ادري كيف مضى وإنني انتظر ذلك النصف الآخر بشوق كبير...

كنت اشعر إنني بحاجة إلى سكب ما أجده في نفسي من إعجاب إلى سمعها وان اردد لها ما يخلج في قلبي وما تتغنى به نبضات قلبي في حبي لها

ذهبت الى ادارة الجوازات ثم اضفت زوجتي سلوى في جواز سفري وسافرت الى جدة وقابلت عبد الجليل.

كنت اتمنى من الله ان لا يتم الصلح بين رباب وزوجها واتمنى ان يشفع لي هذا الصنيع لديها لتقبل بي زوجا بعد ولادتها... بعد ذلك كنت اجد في نفسي اندفاع من الشوق لان اراها مرة اخرى..... عندما قابلت عبد الجليل سألته.

- هل اخبرتها بما اتفقنا عليه...؟
- نعم اخبرتها..
- وهل وافقت.
- نعم وافقت لكنها سألتي.. هل ستذهب انت معنا الى الامارات..
- نعم لا بد ان اذهب.
- لقد رتب مع زوج عمتي وكذلك اخبرت عمتي بالموضوع كاملاً.
- هذا المفروض...ومتى نسافر.
- بعد شهر تقريبا.

- اذا هذه صورة جواز السفر ولابد ان يتم الحجز بأسم زوجتي سلوى كما هو مثبت في جواز السفر. وانا اسافر بها على انها زوجتي سلوى...
- وهو كذلك.
- وتمر الايام...وفي يوم من الأيام.اتصل بي عبد الجليل واخبرني بموعد السفر وان كل شيء جاهز.....

سافرت الى جدة قبل السفر بعدة ايام وقد حصلت على اجازة من عملي ثم ذهبت مباشرة الى بيت عبد الجليل وهناك قابلت رباب وسلمت علي وجلست معي انا وعبد الجليل ... وجدتها لا تتخرج من الجلوس والحديث معي ... فزاد تعلقي بها اكثر ... كانت تلبس منديلا على رأسها...فهي ترى ان هذا اللباس هو الذي ترتديه في المستشفى وتقابل به الناس هناك... وهي مقتنعة بهكانت نبرات صوتها.انثوية جذابة.. رغم ان النساء في مثل تلك الحالة.وفي شهرها الاخير او ماقبل الاخير تكون مترهلة حتى في صوتها من جراء الحمل..زد على ذلك انني كنت اتصورها في وضع نفسي لاتحسد عليه..لكنني وجدتها على غير ذلك.....وكانت نظراتها نحوي. غير مفهومة.....فتارة اقول انها لمحات شكر وتقدير لما سأقوم به انا نحوهم في هذا الموقف... وتارة اقول ان هذه المرأة من النوع المتمرد من النساء التي لاتعيا بأي امر من امور العالم كله..... وأنها اذا اقتنعت بشيء فأنها تستमित في سبيل تنفيذه ... وتارة اتخيل انها تضحك عليّ او لا تقدّر العمل الذي اقوم به... وأنني مثل سيارة قد تنقلها من مكان الى آخر ثم تنزل منها وتنساها بعد ذلك...

كنت اكلمها وأسألها عن حال الجنين الذي في بطنها وعن عملها. وما الى ذلك لمجرد سحبها في الكلام لأسمع صوتها وأتلىذ بالكلام معها ..

- هل اخذت اجازة من العمل..؟
- نعم اخذت اجازة وهم قد اعطوني اجازة مفتوحة.حتى اعود من الامارات.

- هل انت مرتاحة في عملك؟
- جدا.
- أخشى أن نصل الى باب الطائرة فيقولوا لا يجوز إن تسافري وأنت في أيام حملك الأخيرة.
- عندي تقرير من المستشفى ان كل شيء على مايرام حتى لو سافرت في الأسبوع الأخير..ولا أعتقد أنهم سيقولون ذلك..
- ماذا ستسمين الولد.. اذا جاء بإذن الله؟.
- عقاب..
- ليش عقاب؟
- هكذا احب هذا الأسم.....
- وان جاءت بنت...؟
- قالوا لي في المستشفى انه ولد.
- نقول اذا جاءت بنت..... ولم تصدق الأجهزة ..؟
- عندها.. لكل حادث حديث.

بقيت عند عبد الجليل يومين قبل السفر وكانت كلما خرجت من المجلس .. اتمنى ان تعود تتحدث معي.

كنت اتصورها عندما تلتفت انها في موكب من الجمال يبهر كل من يراه....واحسست ان قلبي يناجي فيها كل طرف على حده واحسست ايضا ان رجفات جسمها تلعب بقلبي ولم يعد لي من امري شيء.. كل شيء في الجلسة كنت اتخيلها سيدته... وكل حركة منها كنت اراها تعزف نغمة عذبة تهتز لها اذني ويطرب لها احساسي.

عزمت على ان اترك القدر يذهب بي الى أي وجهة ويمضي بحياتي
كيفما اتفق مثل الذي يجرفه السيل فهو لا يدري الى اين ياخذ.

لا ضاق صدرك يا هوى البال ضقنا

وأن ضامتك دنياك يا شوق أنا لك

عمر الزمن لو ما أنتبهنا سرقنا

تمضي بنا الأيام لا لي ولا لك

(.....)

كنت أخشى أو أريد... لا أدري.... انها تستمع الى وجيب قلبي. الذي اخذت دقائقه
تزيد وترتفع حركته في صدري... وكانها تتأديها وارتعدت اجفاني.. وكانها
تريد ان لا تطبقها وان تبقى تراقب ذلك المنظر الذي انظر اليه بنهم غير طبيعي.

احببتها.. وبدأت فعلا اخطط وامني نفسي بالزواج منها. ولعل الله ان يرزقني
منها بالولد..

كن العيون من النظر عقبك أيتام

وكني ماريت إلا أنت من يوم ريتك

محمد بن فطيس المري

على كثرة المنتزهات الموجودة في مدينة جدة وأماكن الترفيه الا إنني لا
اخرج من البيت الا الى المسجد..... وكنت انتظر مجيئها الى المجلس في كل
لحظة. وقد تكون هي الاخرى كانت تجد في نفسها ما اجده انا..

كنت احبس ثورة حب عارمة في نفسي لكنني اسجلها في الدفتر مثل من يكتب
له صاحب البقالة ديناً حتى يستلم مرتبه فيقوم بتسديده وأمني نفسي منها
بأمني كثيرة بكل الوان الطيف السبعة .. كنت لا ارى انني متزوج وان
هناك شيئاً في حياتي لم يات بعد.
او ان هناك اشياء ناقصة في الحب الذي لا اعرفه.....

كنت اشعر انني مثل انسان ضل طريقه حتى وجد نفسه في صحراء مقفرة
لا يمكنه الرجوع ولا يستطيع ان يتنبأ بما سيجده امامه.... لكنني عازم
على اكمال ذلك المشوار مهما كلفني من جهد ومغامرة..
وسافرنا الى الامارات ونزلنا في مطار دبي وانتهى أمر الجوازات بسلام ..

هناك استقبلتنا امها و زوجها قاسم بكل حفاوة... وحاولت ان اسلم الأمانة إليهم واذهب الى الفندق الا أنهم رفضوا ذلك واعتبروه اهانة لهم... رغم انني فعلا كنت انوي ان اسكن انا وعبد الجليل في الفندق.

كان السيد قاسم يسكن في بيت على نمط الفلل الاوروبية داخل فناء كبير في الشارع المطل على الخليج العربي وترى انه في حي جميل جدا بل من أجمل أحياء مدينة دبي.

عندما وصلت رباب إلى امها. أحست بالراحة والطمأنينة... وشعرت رباب بسعادة كبيرة بوجودها عند والدتها..... اما زوج والدتها قاسم. كنت ارى في ملامحه.. ذلك الرجل الذي عصرته الحياة وتحسب انك عندما تجلس معه انك امام كنز من الثقافات المتنوعة ذا العقل المتزن.. كان متزوجا قبل ام رباب من امرأة من بلده الاصلية في جنوب الجزيرة العربية فلما ماتت كانت ام رباب هي التي يفكر فيها بعد ذلك.... وانتظرها حتى تزوجت رباب من سفيان بكري ثم تزوجها.... تركت له زوجته السابقة ثلاثة اولاد. قد تزوجوا جميعاً ويعملون معه في تجارته. وكذلك مصنع العطور الذي يملكه هناك..... وفي اليوم التالي لزيارتنا اخذنا الى مستشفى قريب من سكنه ثم قمنا بفتح ملف طبي باسم سلوى عبد القادر وأعطيتهم صورة من جواز سفري وتم وضعها في الملف لمتابعة الحمل والولادة بعد ذلك..... ثم عدنا الى البيت ثم سلمنا بعد ذلك الى ابنه الصغير مرشد ليقوم على خدمتنا طالما نحن في دبي وثم تخصيص جناح في البيت لأقامتنا... وجلسنا هناك ثلاثة ايام.. بعد ذلك عدنا الى مدينة جدة.

في اثناء الرحلة ابدت لعبد الجليل رغبتي في الزواج من رباب. وكذلك. حاجتي الى الزواج الثاني بعد ان مضى على زواجي من سلوى اكثر من سنتين ولم تتجب.

- انا ما عندي مانع. لكن الامر بيدها وهي الان اخذت عنك فكرة ممتازة وجلست معاك ولا اعتقد انها ستمانع. لكن اترك هذا الأمر الى ما بعد الوضع وانا من ناحيتي سوف ادفع بقوة في هذا الاتجاه وان شاء الله ما يكون الا الذي تريد.

- لقد منعني الحياء ان المَح لها او ان اقول لها... انني احبها... فعلا لقد احببتها.. ولا استطيع ان استغني عنها... احببت فيها كل شيء... قوة شخصيتها... رسوم وجهها .. كل شيء فيها احسه جميل.. قد تكون ساقها الاقدار.
- انت لك علينا جميعا دين واذا ما ساعدناك فالاخير فينا .
- اترك الواجب على جنب لكنني متعلق بها... هي لابد ان تتزوج وانا والله الذي سوف يحافظ عليها وعلى ولدها وأضعهم في عيوني.
- توكل على الله.. انا ايضا احس انها تبادلك نفس الشعور.
- ياليت.
- اذا اترك الامور الى مابعد الولادة ثم يكتب الله مافيه الخير.
- توكلنا على الله..
- وعدت الى جدة ثم سافرت الى قرية الحفيا وكنت دائم الاتصال مع عبد الجليل وكذلك اتصل بي مرشد وابوه مرتين او ثلاث.

عدت الى القرية ولكن بقلب فارغ ليس القلب الذي خرجت به منها.. انني اتوقع انه الحب الذي لم أعرفه من قبل... فدخلت في صمت رهيب بين اهلي

.....وكانني قد تركت شيئاً هناك من جسمي لا ادري هل احصل عليه ام يضيع مني....وبقيت ساهيا لا ادري الى اين اتجه.

وفي يوم من الايام اتصل بي مرشد بعد اكثر من شهر يخبرني ان رباب قد ولدت وان عقاب وامه في صحة جيدة.
هممت ان اركب سيارتي واذهب الى جدة واستقل اول طائرة الى دبي لاقدم التهئة بنفسي الا انني حسبت حساباتي بعد ذلك ورأيت انني لا بد ان اكون ثقيلًا ورزينا بقدر الامكان...وان تبقى صورتني لديهم طيبة واحترامهم لي في اعلى درجاته..والمثل يقول... (من كثر خطره قل قدره) لكنني كنت سعيد جدا واتصل بي عبد الجليل واخبرني ولم اخبره انني قد تلقيت من مرشد اتصالا يخبرني فيه بولادة عقاب... اخذت بعد ذلك في تكرار طلبي الى عبد الجليل في تنسيق الموضوع مع رباب ووالدتها وعمها وكذلك اخوه طاهر واخبرني عبد الجليل ان طاهر موافق على زواجها مني.... وانه يكن لي كل تقدير واحترام وقال لي ان طاهر قال له...: انني انا الاولى بها.....على كل حال..وهذا اقل مايمكننا ان نرد له الجميل الذي فعله معنا..

انقضى شهر ونصف على ولادة رباب.فطلبت رباب من عبد الجليل ان اسافر معه الى الامارات...لا ادري لماذا... فأسرعت في تلبية الطلب وذهبت الى عبد الجليل في جدة ونمت تلك الليلة في جدة عند عبد الجليل كنت انتظر الغد بين الخوف والرجاء..كنت اخشى ان يكون طلبي من اجل اقناعي بعدم التفكير بالزواج منها... او انها لم تعد تفكر في الزواج بتاتاً..... وأنها قد تركت الرد مني الى ما بعد الولادة وهذا اغلب الظن .. او انها موافقة لكن لديها شروط وقد تكون تعجيزية للخروج من الحرج اخذتني الهواجيس الى كل الإتجاهات وأخذت افكاري تتضارب بين الإيجابية والسلبية ولم اعد احسن التفكير .. بل اخذت الملم بعض الأفكار والمفردات التي استعد بها لمناقشة هذا الموضوع معهم .. والتمسك بأي فكرة ارى انها ستساعدني في اقناعهم بحبي لها...

أغداً ألقاك يا خوف فؤادي من غدٍ

يالشوقي وإحترافي في إنتظار الموعد

آه كم أخشى غدي هذا وأرجوه إقترابا

كنت أستدنيه لكن هبته لما أهابا

وأهلت فرحة القرب به حين استجابا

هكذا أحتمل العمر نعيماً وعذابا

مهجة حرة وقلباً مسه الشوق فذابا

(الهادي آدم)

وجدت عبد الجليل قد قطع تذاكر الطيران فذهبنا الى دبي في ظهيرة
اليوم التاليوفي الليلة التي وصلنا فيها الى دبي استاجرنا غرفة في احدى
الفنادق وذهبنا اليهم بعد صلاة العشاء.... وكانت نبضات قلبي تسبق قدمي..
استقبلنا السيد قاسم وزوجته ورباب وابنها عقاب الذي كان بين يديها.

مددت يدي لأرد على يدها التي امتدت اليّ وأحس ان قلبي هو الذي
صافحها .. كنت كأني قد وضعت يدي على وردة لينة الملمس باردة...
اعجبتني تلك البرودة ... وشعرت انها تمتص حرارة كانت في قلبي
أرى أنني وجدت في يدها من الحنان ما تجعلني اترك يدي في يدها مدة
طويلة ...ولولا شعوري بالخلل من الموجودين لم استرد يدي من
يدها .. وأقول في نفسي ما قال الشاعر ..

مشيت من شانك على كل ممنوع مدري جنون الحب والا شجاعة

(.....)

وبدا قاسم بالحديث معنا.

- الله يحييكم في دبي وانا اتصلت بكم اولاً... لانني اريد ان اعرض عليكم فتح فرع في جدة لمصنع العطور الذي معنا هنا في دبي وان يكون هذا الفرع هوتعاون بيننا وصلة محبة وصداقة وانا اعطيكم اسعار مشجعة وهناك مجال للفائدة والربح اذا استطعتم ان تقوموا بالتسويق..والدعاية لهذه المنتجات.وانا سوف اتساعد معكم بكل مااستطيع.
-نظرت الى عبد الجليل قائلاً: في نفسي(ليس هذا الموضوع الذي جننا من اجله..). كانت نظرتي اليه تقول ذلك ففهمها لكنني تداركت ما اجدته في نفسي وجاوبته على سؤاله.
- اما انا فاقم في منطقة بعيدة عن جدة ولاادري عن عبد الجليل هل لديه القدرة على ذلك ام لا.
- عبد الجليل اشترط موافقتك على ذلك.وهو ما عنده مانع.
- انا بعيد... ولا استطيع ان اقيم في جدة في الوقت الحاضر.
- ليش ماتنتقل الى جدة وتعيش هناك والرزق يستحق ان تسعى وراه.... وان تنتقل من ديرة الى ديرةشوفني انا اعيش في دبي ولو كنت جلست في جنوب الجزيرة العربية ماكنت كذا...الرزق ياولدي يحب ان تسعى وراه والله ياخذ باليد.
- انا موظف ومرتاح في عملي لكنهذا الامر ينبغي له تفكير..اعطنا وقت نفكر فيه انا وعبد الجليل.
- ثم انت قد كلمت عبد الجليل على انك تريد الزواج من رباب.
-عند ذلك انفردت صفحات وجهي وعادت المياه في بشرتي.... لاله الا الله اعتقد انني جننت من اجل ذلك لامن اجل تجارة العطور...قلتها بابتسامة.... ضحك منها الجميع....
-
- لكن رباب تريد ان تسالك بعض الاسئلة.قبل ان نجيبك على طلبك...وهذه موجودةلك ان تسمع منها.
- تفضلي...

- كانت بعد الولادة قد التبست ثوب الجمال بكل معانيه واستوت
 امرأة ممثلة انوثة ونعومة... مكتظة بصحة الشباب وتفتحت ازهار
 وجهها عذوبة تحترق فيها العقول وتذوب منها القلوب..
- وكانت عيني عالقة بها تقراؤها ثم تكتبها على صفحات الهواء المبعثر
 من حولها في الغرفة بطريقة لاتعرفها الا عيون المحبين..
- انت متزوج. وربما عندك اطفال فلماذا تريد الزواج مني.
 - انا متزوج صحيح.. لكن ليس لدي اطفال.. وقد اتزوج من امرأة غيرك
 اذا رفضت الزواج مني.
 - هل ترى ان زواجك بي شفقة عليّ.
 - بل شفهه عليّ انا... (فضحك الجميع. ايضاً)..
 - ماذا تقصد.
 - اقصد انني احببتك فعلاً.. احببتك لصدقك مع نفسك وقوة ثباتك على
 الحق.. وهذا يكفي. ثم انت جميلة وقد اعجنتني وأحسّ انني متعلق بك
 كثيراً.. كل شيء فيك اعجبني لذلك طلبتك للزواج من عبد الجليل
 ..
 - طيب انا موظفة في المستشفى وانت الان تقول لاتستطيع العيش في
 جدة...
 - الا معك انت..... اعيش في صحراء..... المهم انني اجدك جنبي.
 - هل ستطلب مني هذا الولد في حاله رفضي الزواج منك.
 - هذا ولدك ولعل الله ان يقر به عينك.
 - ولا تقول عنه انه ولدك انت.
 - انا لا اطلب شيء ليس لي فيه حق.... لكنني ارجوا الله ان يرزقني منك
 بإخوة له..... وعند ذلك سيكون ولدي ايضاً ويعيش بين يديك وتحت
 نظرك وكفى.
 - هذا الكلام ستلتزم به ام انه لمجرد طلب الموافقة.
 - الله على ما اقول شهيد.... وكل الحاضرين يشهدون على كلامي هذا.
 - ارجوا ان لاتلعب بعواطفني. فالمرأة ضعيفة ويسترّقها الكلام الحلو.. مثل
 الذي تقول.

- انا لا اعرف الا الصدق ان وجه الانسان مرآة ... يقرأها الذي امامه ولعلك تقرأين مافي قلبي في وجهي .. دائما يكون الوجه مرآة المعتقدات والوسيلة التي يعبر بها القلب عن محتواه...

- ربما (كانت كل العيون تنتظر الينا ونحن نتحاور بكلام اقرب الى الغزل المباح).
- لم يكن في بالي الزواج قبل ان اقابلك واشوفك لكنني الان في حالة مايعلم بها الا الله .. انني احبك فعلا....:

من رحت وانا الحال يعلم بها الله الناس حولي بس كني لحالي
(مساعد الشمراني)

- لكنني لا أريد أن أترك عملي.
- هذا شأنك.
- وتعيش انت في جدة أم في بلجرشي....؟
- احاول ان اتدبر امري... انت مارأيك.....؟
- ابدأ... انا لا اختار عنك احدا.
- يمكن شفقة علي..... اليس كذلك...؟... (وضحكنا جميعا).
- ربما...
- وأنت... بأذن الله .. انك لتجدي الفرس الاصيله التي ماترمح بخيالها...
- وانا والله اني لاحول اسعادك واعوضك عن كل الايام الماضية الصعبة من حياتك.
- وسأكون عونك والسكن الذي ترتاح له والضل الوارف في حياتك.
- ولك مني ان اكون الجفن الذي يحمي العين من القذى والاذى..

... (كنت اخشى ان تطفر من عيني دمعة لا اريد ان تراها هي وأهلها .وكنت احبسها وافتح عيني حتى لا تطيح من بين اجفاني انها دمعة فرح اكاد اراها في كل شي حولي.) وقلت :

- اذاً تعودين الى مقر سكنك عند عبد الجليل . هذا اذا قبل عبد الجليل ...حتى اتدبر امري ثم نسوي امورنا سويا.
 - انا من ناحيتي ماعندي مانع.(قال ذلك عبد الجليل)
 - وانا ماعندي مانع...قلت ذلك.
 - وانا موافقه.. قالت ذلك رباب ..
 - خلاص هذا الكلام يعتبر ملكة ولا نحتاج بعد هذا للمأذون ... (قال ذلك العم قاسم) فضحك الجميع ..
- عند ذلك كان امامي جيكا من الماء البارد سكبت منه كاسا وافرغتها في جوفي. ثم قلت ...
- ..ومتى يتم الزواج.....؟
 - هنا في دبي.....قالت ذلك امها..
 - لابعد ان نصل الى جدة .قالت ذلك رباب.
 - بل هنا.....قال ذلك السيد قاسموكل شيء سوف ارتبه بنفسي وعلى حسابي لكن علينا ان نطلب من طاهر الحضور معنا.
 - وهو كذلك ..(قال عبد الجليل)...
- واتصل عبد الجليل بطاهر واخبره بكل شيء فبارك هذا الأمر واعتذر عن الحضور وطلب من عبد الجليل ان يقوم هو بعقد القران
- وفي الليلة التالية حضر المأذون وتزوجت رباب وجلسنا هناك يومين وتمت اضافة عقاب في اليوم التالي الى جواز السفر ثم عدنا جميعاً الى جدة.
- بعد وصولنا الى جدة بقيت مع زوجتي هناك ثلاثة ايام ثم عدت الى القرية...
- كنت عائداً من جدة وفي إثناء الطريق كنت أتذكر واستعيد صورة عروستي الجديدةفكل شيء فيها اعجبني الى درجة كبيرة ... فهممت ان أعود من منتصف الطريق ...لولا ارتباطي بالدوام الذي أصبح السجن الذي يبعدني عنها ..

١٠

وصلت الى القرية صباحا....كان الجو في القرية بارداً ... وكانت
الغيوم تلف الأرض ومن عليها والرشف ورذاذ الغيوم تغسل الشجر والأعشاب
...

كانت قطرات الندى متمسكة بصعوبة باطراف الاوراق خوفا من
سقوطها على الارض..ورائحة الرطوبة تفوح من اروقة الاعشاب المنتشرة
في فناء البيت وعلى قارعة الطريق ووقفت امام البيت فترة رغم
برودة الجو لكنني احسست انني محتاج الى تلك البرودة الطبيعية التي
كنت بعيداً عنها ... كانت الشمس تهاوب الشروق والهواء ساكناً وأصوات
الطيور في الأشجار تشعرك بمولد يوم جديد ...
دخلت الى البيت فاستقبلتني زوجتي سلوى بالترحيب وكأني قد غبت عنها
سنة كاملة..... لكن في صباح اليوم التالي وبينما كنت ذاهباً الى
المدرسة رن جوالي برسالة من رباب ..:

واحنالسا في اول يوم
مش كنت تعلمني العوم
صلاح جاهين

ليلة امبارح ماجانيش نوم
قبل ماترميني في بحورك

فهمت ان اترك المدرسة وأسافر الى جدة..
بعد ذلك كنت استقطع أيامي وساعاتي أنتظر مجيء يوم الأربعاء .. وبعد
نهاية الدوام كنت امتطي سيارتي ولا أنزل منها إلا أمام البيت الذي
تسكنه رباب ..

كانت هناك اكثر من فكرة في راسي..... هل أخبر أهلي بهذا الأمر أم لا
أخبرهم هل سيبقى زواجي هذا طي الكتمان حيناً من الدهر أم أخبر
والدي ...وأخي... وزوجتي بذلك.....او ١٠ او....

لم أستقر على رأي اقتنع به.. فقررت ان أترك الموضوع وأدرسه جيداً وان أترك نفسي وقتاً كافياً.... وربما يأتي الوقت المناسب ثم أفصح عنه... وعزمت ان لا أفتح فمي لأي إنسان بهذا السر الآن....

سارت الأمور بشكل طبيعي فترة من الزمن ولم أخبر أحدا....كنت أريد ان اخبر أُمي بذلك لكن خشيت اندفاعها بحكم محبتها لزوجتي فهي من أحب الناس إليها وأخشى ان اسبب لها صدمة بذلك ... كما أن الأمر سيكون صعباً عليها ان تكتمه فخالي عبد القادر عزيز عليها كثيراً..... فخير لي ... ان أقلب تلك الصفحة....ولن أقول لها شيء ... فكرت في أخي سعيد لكنني خفت أيضاً... فأخي سريع الإنفعال وقد يثور في لحظة غضب ثم يفضحني... ليس مع الوالد والوالدة....بل مع اغلب سكان القرية....لذلك قلبت صفحته أيضاً فهو لا يصلح.....ولم يبق أمامي الا والدي وزوجتي.... ثم فكرت ان والدي إن غضب فلن اقدر على تحمل غضبه وربما يتصرف تصرفاً سريعاً او قوياً وربما يطردني من البيت أيضاً..... لذلك فضلت أن انتقل إلى الصفحة الأخيرة وهي زوجتي..

كنت أتهياً للبدء بالكلام معها ... فهي سوف تأخذ الصدمة لكنها اقل المجموعة انفعالا زأكثرهم مداراة لشعوري..... فأخذتها عصر يوم من الأيام الى السوق ثم اشتريت لها قطعة من الذهب.. وكذلك بعض القماش وكنت أثناء تواجدنا في السيارة اسمعها بعض النكت والكلام المعسول كما اظهر لها حبي وتعلقني بها ٠٠ لكنها قد أحست أن هناك امراً لا تعرفه أو أن في خاطري شيء أريد ان أناقشه معها ..

- هناك شيء تريد ان تقوله لي من وراء هذه الحركات !!
- أي حركات .. انا يوسف الذي تعرفيه ولو كان عندي أسرار فأنت أول من يعلم بها ..
- انا اقول سفراتك المتكررة إلى جدة وراها سر....
- أي سر... الله يهديك....كان هناك ارض أريد أن اشتريها ...
- ليش ما شريتها ..؟

- فلوسي ما تكفي ..
 - خذ صيغتي وكمل عليها واشتري الأرض وتوكل على الله...
 - انا فكرت اطلب من سعيد فلوس فانا متأكد ان عنده فلوس ..
 - لا نريد أن يكون أخوك شريك معنا...صاحبك الذي تقول عليه في جدة يمكن يساعدك ويسلفك فلوس واشترىها ...
 - والله ما يقصر لو طلبت منه ..
 - اذاً توكل على الله واطلبه ..ولا احد يدري إلا وأنت قد اشتريتها ..
 - والله فكرةونخليها ما احد يدري عنها حتى يفرجها الله ونشترىها
 - اذا توكل على الله
- ورأيت انني قد صعدت درجة واحدة في السلم الذي لا بد من صعوده وهذا اليوم يكفي هذا الدرس.... وبعد فترة يتم الصعود درجة أخرى ولتكن الأرض هي الغطاء لسفري الى جدة .. وهي الوسيلة التي عن طريقها يمكن أن أصل إلى ما أريده منها....

تمضي الأيام والأسابيع وأنا أسافر الى جدة في فترات متلاحقة وكانت سلوى دائماً تنتظر عودتي بشوق كبير أملاً منها ان اشتري الأرض التي قلت لها عنها في المرة السابقة (فهي ترى انها الوحيدة التي تعلم عن السر من وراء هذه الأسفار).. وكانت في كل مرة أعود تستقبلني بشغف إلى الأخبار السارة..

- هاه ٠٠ بشر.... وش صار في موضوع الأرض ...؟
- قابلت الرجل ووعدني خيرلكنه أخرجني جدا عندما طلب مني ان اسكن معه في بيته خلال بقائي في جدة ..
- ما فيها شئ ٠٠ وقال انه سيعطيك المبلغ....؟
- لو طلبت منه أكثر من ذلك لقال تم
- طيب ... وش صار ..؟
- قال أعطني وقت لكي أدبر المبلغ ...
- كم طلب من الوقت ...؟
- يمكن أسبوعين

- خلاص رح أنت احجز الأرض وبعد أن تحصل على الفلوس تدفع البلغ وتشتريها
- لا ٠٠ هو سيتولى الموضوع واتضح انه يعرف صاحب المخطط ويمكن ان نحصل على تخفيض عن طريقه وقال :انه سيتولى كل شئ.
- بعض الناس معرفته مكسب...
- لقد قدمت له دعوة لزيارة القرية..
- يستاهل الله يحييه ...
- لكنني لا استطيع أن أستضيفه في المنطقة حتى ينتهي البرد ..
- هذا صحيحوالله يموت من البرد لو جاء في هذه الأجواء ..
- اذاً..... يمكن الأسبوع القادم آخذ أجازة اضطرارية لمدة أسبوع وأسافر واجلس عنده هناك حتى نكمل موضوع الأرض
- يعني هو غني جدا ...؟
- الله اكبر ٠٠ بشكل كبير ...
- اذا ٠٠ لاحد يدري ...لا أبوك ولا أخوك ولا أي احد ...
- انا أصلا ما قلت إلا لك أنت
- وان ما با قول لأي إنسان ...وأنا افضل ان يبقى الأمر سرا من الأسرار التي تبقى بيني وبينك ...
- يعني ما عاد أوصيك ..
- توكل على الله لا توصي حريص ..
- اما رباب فقد كانت رسالة الجوال التي ترسلها دائماً الى جوالي كلما تأخرت عن السفر في نهاية الأسبوع

قلبي قسمته ياهوى البال بالنصّ

نصّه بجوفي وأنت بيديك نصّه

لا غبت عني يبتدي الحال ينقص

وأسهر وتبدا لي مع الحزن قصة

(.....)

وأحياناً. اجد هذه الرسالة.....

خزّنت لك بالقلب عشرة ملايين،،
 ماهو رصيد فلوس لكن مودة
 زكاة حبي لك بتغني المساكين
 م الساحل الشرقي الى حد جدة
 (.....)

وسافرت وقضيت في جدة أسبوع بحجة الأرض ايضاً.. كان من من
 أجمل أسابيع حياتي بل لقد مضى كله كساعة واحدة .. كانت زوجتي
 الجديدة مؤدبة ورزينة وجدتها امرأة عاقلة ومتفقة جداً.. ويظهر انها
 مسرورة بزواجها مني ايضاً.... لكنني كنت ارى احياناً في عيونها شيئاً
 لا افهمه ابصر في عيونها بحر من الكلام الذي لا أستوعبه فتارة أرى
 دواعي الشوق تسبح بين أجفانها.... وتارة أرى أنها متغلفة بأكواما من
 الحزن والألم الذي أصاب قلبها من زوجها سفيان بكري.... وتارة أرى
 أنها تحمل همّاً لا افهم اتجاهه ولا منبعه كانت صموتة وسارحة أحياناً
 .. وكنت لا ألومها فهي لم تكن متأكدة من مصيرها الذي ارتبطت به
 حديثاً او تخشى انها قد اقدمت على الزواج الجديد بسرعة دون ان
 تحسب حسابها جيداً... او انها قد تفشل في تجربتها الجديدة ثم يكرر
 التاريخ تلك المأساة التي مرّت بها ..
 كنت اتعمد الابتعاد عن كل ما يذكرها بزواجها الأول وأحرص
 على انتزاعها من ذلك الخوف الذي اجدها منغمسة فيه احياناً دون
 ارادتها وان تكون جميع الأجواء التي أمامها هي أجواء فرح ووناسة
 وطريق الى السعادة ... كنت أبتلع كل الكلمات التي تصل إلي فمي ثم
 أتذكر أنها ستعود بذاكرتها إلى الوراء وما يذكرها بالماضي او بسفيان
 بكري ..

وكنـت ادرك انها لـبقة وجريئة وقد لا حضت ذلك مني .. وتفهم ما اقصدـه فأخذت تحاول هي ايضاً ان تكتم احزانها وتخرجني من الالم الذي تكتنزه .. ولا اشاهد آثاره على وجهها...

كانت احياناً اخرى تريد ان تضعني امام الصور المظلمة التي عاشتها في فترة من ايام الشقاء التي مرت بها اثناء الحمل وتشرح بعض معاناتها ... فأخذت تتكلم اليّ بحديث لا اجدها تتكلف في صياغته ونظمه بصوت يلحّنه الألم والحزن الذي تنفطر لسماعه القلوب وأنا مصغي اليها لا أريدها ان تقطع انسياب ذلك الحديث حتى وإن كان مؤلماً وأحسها تخرجه من قلبها لا من فمها وأريد ان يخرج هذا الألم من صدرها حتى ترتاح منه

كانت خصلات شعرها قد عبث بها هواء مروحة السقف فترفعها عن عينها برفق.... وتحبسها خلف اذنها..... لكنها عنيدة.... لا تلبث ان تعود لتغطي حواجبها وكأنها اسلاك من الذهب الذي لا يحلو له الا ملامسة او نرفزة اجفانها التي كانها قد اخترنت فتنة وسحرا يسحب القلوب اليها بقوة.... وكنـت التقط من بين تلك الاجفان رسائل كثيرة جدا ربما لا استطيع ترجمتها في الحال لكنني اخترنـها في ذاكرتي ثم عليّ ان اترجمها بمفردي فيما بعد . على ان تحتـمل الترجمة عدة معان..... فالعينان هما رسل العواطف التي تترجم الاحاسيس والمعاني الجميلة.

كنـت اتخيلها انها راتني عودا رنان فارادت ان تعزف على اوتاره لحنا لا يفهمه الا من له معرفة بالحن القلوب فعزفت.

كنـت استمع إليها وهي تكلمني وأجد نفسي امام فيلسوف وأرى أنني بين يدي امرأة بليغة ومثقفة وممتلئة عقلا ومشاعر وأحاسيس من الغريب ان تجدها لدى غيرها من الجنس اللطيف..... لكنني لمحتـها بعد أكملت حديثها انها تنظر اليّ والدموع تتساقط من عينيها صافية مثل حبات اللؤلؤ... قالت ...

ما اقسي ان تربط حياتك بشخص لا تفهمه ولا يريد أن يفهمك او إنسان يريد ان يستغفلك وأنت تفهم ذلك .. لا تحسب ان هذه الدموع أسفاً

عليه... بل هي حلاوة الروح .. بعد أن أنقذ الله حياتي من بين يديه
بطريقة سهلة ودون عناء..

تناولت الحديث انا بعد ذلك ولم اطل كلامي لكنني وعدتها ان أكون
زوج الأحلام الذي تنتظره وأن الحياة في القرية ستكون أفضل بكثير من
ما تصورته وأنها ستتسى كل أيام التعب والحزن التي مرّت بها ان
وافقت على ترك العمل والسفر معي الى القرية كما طلبت منها ان
تحصل على اجازة وتجرب الحياة في القرية ثم تقرر بعد ذلك .. لكنها
رفضت الفكرة الآن.... وقالت انها لم تعد الى عملها في المستشفى بعد
ولابد ان تبقى بعد الاجازة في العمل فترة قبل ان تطلب اجازة مرة
اخرى ..

- عدت الى القرية .. وقابلت زوجتي وأخبرتها إنني اشتريت الأرض
فارتاحت لها نفسها وسألتني ..
- خلاص دفعت المبلغ كاملاً؟
 - دفعت قيمتها واشتريتها والصك عند عبد الجليل ولن يخلص إلا بعد
أسبوعين..... هكذا النظام...!
 - كيف مكانها طيب ..
 - الارض طيبة جداً .. الله لو شفتيها ... الله... ما ودك الا تجلسي
وتطالعين فيها ... ارض جميلة جداً .. سوف ترينها ان شاء الله ..
(الله يغفر لي .. كنت اقصد العروس)..

- كان الوقت ظهرا وكانت زوجتي كالعادة فرحة بشوشة فكانت
الفرحة على وجهها وبعد تناول الغداء رأت على وجهي آثار الحيرة والهم
المبطن الذي لا ادري من اين ابتيدي في نشره وأحتاج لمن يقرأه او يترجمه
مني... كنت اريد ان اهتدي الى الكلام الذي يقتنع به اهل البيت جميعاً
ولاحظت زوجتي ذلك في وجهي فقالت :
- كأنك ما انت مرتاح ويظهر عليك الإرهاق والتعب..
 - هو من تعب السفر فقط..
 - هذا صحيح .. وماكان فيه أي داعي للسفر أصلاً .. لقد كثرت مشاويرك
وسفرتك الى جدة مع خطورة الطريق .. وانت الله يهديك كل أسبوع وأنت
مسافر ..
 - من اجل كذا أنا أفكر أنني انتقل الى جدة ... لأنني حصلت على قرض
وسوف ابدأ في العمارة..
 - وأين نسكن .. ان أجرة البيوت مرتفع هناك...
 - انا أفكر ان تبقي أنت هنا في البداية حتى أحصل على شقة ثم نذهب جميعاً
...
 - يعني تذهب وحدك هناك ؟
 - نعم إنني أفكر في ذلك .. في بداية الأمر فقط ..

- ولمن تتركني يا بن الحلال..؟
- هنا عند الوالد والوالدة وأنت قريبة من اهلك .. وهذا بيتك وكل شئ سيكون متوفر لديك ..
- هذا ما هو حل... الله لا يبارك في الأرض ولا نريد عمارة وأنت لا تتركني على وجه المستحين... بإمكانك ان تجد بعض المقاولين ثم تسلمه العمل وتبني العمارة وأنت هنا... زي بقية الناس....
- ..وانا ربما اشتغل بالتجارة أنا وعبد الجليل...
- يا عبد الجليل هذا .. من يوم شفناه ما شفنا خير .. الله لا يذكره بالخير
- ها لحين لا تسوي منها مشكلة وانا أعرفك العاقلة الرزينةأنت من سيساعدني ويقف معي حتى نستطيع ان نكون أنفسنا ..بعدين لمن هذا السعي خلف طلب الرزق .. اليس لي أنا وأنت وأولادنا ان رزقنا الله بأولاد..
- أنت راتبك ممتاز ونحن حياتنا هادئة ومرتاحين ولا داعي للشقات والتعب وتتركنا وتسافر ...
- لقد عزمت على ذلك ..
- وأنا ... الم تفكر في..؟
- بلى فكرت وقلت كل هذا من اجلنا جميعا..
- أنا المتضررة من هذا الأمر لوحدي .. هل أخبرت ابوك..؟
- لا .. لم اخبر أحدا غيرك حتى الآن .. لانني أريد مساعدتك لدى أبي وأمي .. فهم ان رأوك موافقة وإننا أنا وأنت متفقين فلن يمانعوا ابدأ..
- أنا غير موافقة .. انا التي سأتعب أنت ستتركني .. لماذا..... لم يحدثك الله على ذلك .. إحنا مبسوطين وبخير ومدرستك قريبة من البيت وكل شئ على ما يرام .. اكيد هذه عين وصابتنا ولا حول ولا قوة الا بالله ..
- لا تكبري الموضوع وكلها فترة بسيطة وارتب وضعي وأخذك معي إلى جدة وعندها سوف تنسين التعب والألم الذي مر عليك ..
- لسنا مجبورين على ذلك ...
- هذا قرارى .. وقد اتخذته..
- لا حول ولا قوة الا بالله .. ثم انفجرت تبكي...

- خرجت من الشقة وذهبت الى والدي فوجدته جالسا مع والدتي في المجلس ..
-سلمت عليهما وجلست معهما .. فقال ابي :
- يا ولدي كثرت سفراتك الى جدة لا يكون انك متزوج هناك .. والله وضعك ما يطمئن ..؟
- إذا كان لي نصيب في الزواج لابد أن أتزوج..
- إذا كان تدور للزواج فالنصيب ييسره الله الموضوع يتوقف على رغبتك أنت في الزواج.
- وإذا تزوجت .. هل هذه ستكون نهاية الكون....
- نعم نهاية الكون .. قالت ذلك والدتي بانفعال شديد ...
- والله إنني أقول هذا الكلام لأبوك وأقول سفرك إلى جدة بهذا الشكل لابد ما يكون وراه مصيبة....
- يا أمي توكلي على الله .. انا لا متزوج ولا عندي نية زواج لكنني قد اشتريت لي ارض هناك واريد ان ابدأ في عمارتها..
- ومتى شريت الارض .. قال ذلك أبي..؟
- هذا الأسبوع..
- مبروك الله يبارك لك ...
- جزاك الله خير ..
- وزوجتك تعلم انك تبغى تنتقل جدة..
- يعني ... هي ما وافقت لكنني اعتقد انها ستوافق..
- هل ستسافر معك ...؟
- لا تجلس هنا حتى استاجر لي شقة ثم تجي معي ..
- لمن تتركها هنا قالت ذلك امي ..؟
- تجلس هنا وانتم ان شاء الله ما تقصروا عليها ...
- ووظيفتك .. (الكلام من امي التي تتكلم معي بحدة وغضب) ..
- يمكن اطلب اجازة بدون راتب ...
- الله لا يغلطنا هذا والله الجنان بعينه ... أنت صاحي وإلا جاء في عقلك خلاف ..؟ ماذا تريد ان يقول عنك الناس .. انا لست موافقة وان

رحت وأنا غير راضية فسوف ترى ما سيحصل لك وقول أمي قالت ذلك

...

- الآن هذه ٠٠ اريد رضاك يا أمي وأريدك أن تدعي لي بالتوفيق لا أن تدعي عليّ ...

- أنا متأكدة ان فيه ناس يلعبون بعقلك ٠٠ والله يخلف علينا فيك(ثم التفتت إلى ابي وصاحت في وجهه)انت وش فيك ساكت ما تقول شئ ..تكلم هذا الكلام يرضيك ؟..

- ابنك يوسف عاقل ورجل وهو يعرف مصلحته المشكلة زوجته المسكينة اما الوظيفة فسوف يشتغل بوظيفته في جدة ...وهي وظيفة سواء هنا او هناك ٠٠ وهو حر في تصرفاته وإن اخذ اجازة واشتغل بالتجارة فقد يكون اكسب له ..

وانتقل الجدل بين امي وأبي ...

- يترك زوجته والوظيفةمن اجل دكان ما يدري يكسب فيه والا يخسر ..؟ ثم التفتت اليّ....:

- والله انك ما تشوف خير ان ذهبت وأنا غير راضية ..

- بكيفههو حر .. قال ذلك أبي..

- يعني أنت موافق على فكرتي يا أبي ... أليس كذلك ؟..

- انا اعرف انك عاقل وان أمك بإذن الله سوف تتصرف بحكمة وغير ذلك كل الأمور بيد الله سبحانه...

قامت أمي وتركتني مع والدي وهي تكظم غيظها عليّ وعلى أبي معا

وخرجت الى خارج البيت فإذا زوجتي بجانب شجرة العرعر ٠٠جالسة

وواضعة رأسها بين ركبتيها وتبكي ٠٠ فذهبت إليها..:

- لا تبكي يا بنتي هذه نزوة وتعددي بإذن الله ٠٠خليه يروح لكنني متأكدة

انه لن يبقى كثيراً اذا رأي غاضبة عليه ٠٠ ان يوسف عاقل ويحبك

ولن تغيبني عن عيني ابدأ.....معه ناس يلعبون عليه..خليه يروح ..وبعدما

يرى انه مخطئ في حقنا جميعا سوف يعود..نعم ٠٠ سيعود ٠٠ لا تبكي

.....قومي تعالي عندنا في البيت..

- ٠٠٠ لم ترد ٠٠٠

- قومي..... هو جالس عند عمك في المجلس ٠٠ وربما نكره هذا الأمر
ويجعل الله فيه خيراً لكم...
- نحنا مبسوطين ٠٠ ليش يقلب حياتنا ويركض خلف المجهول..؟
- هذا إبليس يلعب برأسه... ولا بد ما يكتشف نفسه انه غلطان ثم يعود إلى
رشده ولن يذهب بعيداً ابداً.. قومي توكلي على الله ٠٠ والمكتوب
يصير.... انتى اتركي المستقبل لله ..
- دخلتا فوجدتني لا زلت جالساً مع ابي فقال ابي...:
تعالى تعالى يا بنتى..
- انا وجدتتها تحت العرعة تبكي قالت ذلك امي ثم توجهت بالكلام
اليّ شوف اذا نفذت ما في راسك ولا سمعت كلامي فوالله ما
تشوف خير ...
- (تناول والدي الكلام فقال :) من ايش تبكي مادام راسي يشم الهوى
ما يلحقها ضيم ابداً... .. ويوسف عاقل ولن يتصرف الا لمصلحتها
٠٠ يابنت الحلال توكلي على الله ٠٠ وهي الدنيا كذا ٠٠ وبعدين سوف
تتذكرين كلامي هذا..... وخليها على رب العالمين ٠٠ والامر بسيط
ويوسف لن يخالف كلامنا ابداً وأنت اذا ما كنت راضية فيوسف عليه
ان يؤجل هذا الموضوع الآن ..

سافرت الى مدينة جدة وتركت سلوى في القرية ولم تمض سوى أيام قلائل حتى اتصل بي والدي يخبرني ان سلوى حامل ففرحت فرحاً شديداً لكنني علمت من تلك المكالمة انه مريض ويتعذب على ويرى انني سافرت وتركته لوحده في القرية بعد ان انتقل سعيد بعائلته وعمله الى مدينة ابها فاتصلت بسلوى وباركت لها وشرحت لي موضوع التعب الذي تعرض له والدي وأنه ووالدتي في حالة صعبة فقررت العودة الى بالجرشي ..

وعدت الى القرية في نهاية الأسبوع فوجدت ابي مريض فعلاً وأخذته الى المستشفى وبقيت بجانبه شهراً عدت بعدها الى مدينة جدة مصطحباً التقارير الطبية لوالدي وانه بحاجة الى رعاية وقدمتها لادارة التعليم هناك وطلبت الموافقة على طلبي والرفع به الى الوزارة ومساعدتي في نقلي الى بالجرشي.... وقد ندمت فعلاً بانتقالي الى جدة وقررت العودة الى القرية حتى لو اطلب اجازة بدون مرتب بعد ان رأيت الحالة التي اصبح فيها الوالد والوالدة وكذلك زوجتي بعد غيابي عنهم ..

فلم يطل انتظاري للنقل كثيراً فقد كانت السنة الدراسية على نهايتها وبتوفيق الله تم قبول طلبي وصدر قرار نقلي الى بالجرشي لكنني تعينت في مدرسة ابعد من التي كنت فيها بقليل ..

قبل نهاية السنة الدراسية وقبل ان يخلى طرفي من هناك اردت ان تتعرف زوجتي سلوى بزواجتي الاخرى رباب فسافرت الى قرية الحفيا واصطحبت زوجتي سلوى مبرراً ذلك ان تقضي معي بعض الوقت في جدة قبل ان اعود لعملي في بالجرشي ...

كانت رباب قد انتقلت الى شقة في العمارة الجديدة التي بناها طاهر لإخوته جميعاً في حي الصفاء وتم تخصيص تلك الشقة لرباب وكذلك جميع عائلة ابو رقة حيث استقل كلا منهم بشقة مستقلة ..

ذهبنا مباشرة الى شقة رباب ..

عندما دخلت الشقة ... استقبلتها تلك المرأة الصبية التي لم ترها من قبل بالترحيب الحار .. ذهلت سلوى من الموقف فلم تتكلم بكلمة واحدة ...
- هذه زوجتي الثانية رباب ... لقد اردت ان تكون مفاجأة .. لقد اردت ان تتعرفي عليها اولاً ثم تحكمي عليها .. (قلت ذلك لسلوى .)
انها طيبة وستجدينها مثل اختك ارجو ان تحسببها صح وانك انت الاولى والأخيرة وستوضح لك الأيام لماذا تزوجتها ... وارادت ان يكون الامر مفاجأة لك وانتما الان اخوات وزملاء .. وانا اتمنى ان تكونوا اصدقاء ايضا ...

تقبلت سلوى الموضوع بذهول وصدمة لكنها أمام أمر واقع
ولك ان تتصور هذا الموقف الذي وُضعت المسكينة فيه دون حول منها ولا قوة .. فتقبلته بحسرة او ذهول او لا مبالة لا ادري وبعد الغداء تركتهما مع بعض وخرجت الى السوق بمفردي ..
تقبلت سلوى موضوع زواجي من رباب على مضض رغم انني حاولت ان ابرر ذلك الزواج بانه زواج مصلحة وان الله قد يكرم العائلة كلها بزواجي من رباب .. فهي من اسرة غنية ولا بد ما تكون لها نتائج ايجابية على الاسرة

كانت هي ايضا غير بعيدة عن الاقتناع بذلك الا ان وجود امرأة ثانية بجانبها .. لم يرق لها ابدا حتى لو كانت الجنة في يمينها فلن تقبلها بسهولة لكنها أثرت ان تترك هذا المناقشة في هذا الأمر حتى تعود الى القرية ...

تفاجات عندما اخذتها رباب الى غرفة نوم اخرى في الشقة جديدة ومجهزة وقالت لها:

- هذه غرفتك وقد جهزتها بكل ماتحتاجين ...

بعد اسبوع من ذلك عدت انا وسلوى الى القرية وكنت اعرف ان سلوى ستذيع خبر زواجي ... وهناك درساً قاسياً سوف اتلقاه ثم ينتهي الامر ..

لم اتكلم مع زوجتي في موضوع اشاعة خبر زواجي بين العائلة الا انني كنت متاكدا ان زوجتي لابد ان تبثه.... فتركت لها حرية نشره بطريقتها الخاصة وبعد عودتها الى القرية بدأت في اشاعة الخبر .. ولم يمض اسبوعاً الا ووالدي يسألني

- تعال يا يوسف ٠٠ ايش الكلام اللي سمعته ...؟

- أي كلام يا ابي ..؟

- تتصرف كذا بدون علمي وتتزوج وتجب عيال وكانني غير موجود...
على الأقل نبارك لكاوليس لي قيمة في حياتك ولافي تصرفاتك
.....كان خليتي اموت اولاً.. ثم انت وشأنك.... اما وانا حيواخر من يعلم ٠٠ فاسمح لي يا ولدي انها قلّة ادبواهانه لي وتصرف اهوج ...
- كنت اتحاشى ان اغضبك او انكد عليك وهذا الزواج قسمة ونصيب وجاء كذا بدون مقدمات ...والحقيقة ان البنت اعجبتي واخوها صديق وما قصر لم يتردد عندما طلبتها منه ...

- طيب الزواج نصيب زي ماقلتليش ماقلت لي ...

- ادري بانك لن توافق بحكم صداقتك مع خالي عبد القادر ...

- قلت اسويها.... واللي يزعل يزعل اليس كذلك ...؟

- لا..... اردت ان تاتي الامور بدون مشاكل فعارفت بين الزوجتين حتى

يذوب الجليد اولاً..واذا رضيت سلوى سوف يرضى خالي عبد القادر

وانت والوالدة ايضاً ٠ لن تغضبوا كثيراً...

- يعني اول شئزوجتك ترضى.... ثم انا وأمك قد تكون موافقتنا تحصيل

حاصل ٠٠ وصى الله وبارك....

- لا ... ابدأ... انتما كل شئ..... لكن كما قلت لك ...آثرت ان لا انغص

عيشكما... ولابد ما ينكشف الامر... وهي من اسرة طيبة وقد ساقتها

الاقدار... وانا أبنيك الذي تعرفه لا يمكن ان اطيح إلا متواسي كما تقولون...

- من متى انت متزوجها ..؟

- الللللللللللللله..... من زمانيمكن سنه ونصف كذا ..
- وش عندك منها عيال ..؟
- ولد واحد بس ...
- وقدرت تخبي عنا هذه الفترة والله انك داهية ٠٠ وكيف تعرفت عليهم ومن عندهم هناك ومن يقوم بشئونهم ..؟
- هي في شقة ملك لها والعمارة ملك لها ولأخوانها واحد من اخوانها ساكن في الشقة المقابلة في نفس العمارة وهو المشرف عليهم ... وربك ميسرها
- تقول لي سلوى انهم مبسوطين وطيبين جدا ...
- اقول لك.... انا ما اطيع الا متواسي ...
- يعني ما ب تجي بها هنا ...؟
- إلاً لا بد..... لكن أقول لك أمي عرفت....؟
- نعم عرفت ٠٠ بس لا تقرب منها الآن... هي زعلانة جداً... اترك لي موضوع اقناعها انا..... انا الذي اعرف لزعلها ... اتركها لي انا
- انا ارضيها قبل ماتصل عندك
- أي والله ٠٠ انا خايف من زعلها.....
- ياولدي توكل على الله..... هذا نصيب وهي وان كانت قاسية الا انها تحبك كثيراً....والله لقد قالت لي مرة ان كثرة أسفارك الى جدة كل أسبوع ما تظمن وان وراها مصيبة...
- يابوي والله اذا شفتها انك لتعذرني ..وتقول دور لي واحدة ثانية ٠ ايش جمال ٠٠ وايش ادب ٠٠ ايش ثروة وسوف تشوف وتحكم على ولدك بعد ذلك ...
- ان شاء الله نشوفهم وما دام هذا زواج حلال فلا عليك من احد.... هذا الله قد كتبه عليك...والله يوفقك ولا تخاف ابداً.....
- حتى من امي ..؟
- حتى من امك ... حط أيدك في موية باردة ..
- الله يرضى عليك.....

- لم تمضي فترة طويلة حتى خف الانكماش وكذلك تقطيب الحاجبين الذي كنت أشاهده في وجه أُمي وكنت أخاف ان ابدأ معها الحديث وهي بتلك الحالة... .. وفي يوم نزلت إليها عندما كان والدي قد سافر الى الجنوب لمتابعة النحل مع بعض زملائه..
- كانت جالسة لوحدها فجلست بجانبها وسلمت عليها وبصعوبة سمعت رد التحية.....(كنت اسمعها همساً فقط) ..
- وعندما فتحت معها الكلام قامت وتوجهت الى الداخل وأدارت لي ظهرها وتركتني جالسا... فمشيت خلفها حتى جلست ثم قبلت رأسها وجلست أمامها... - لا زلت زعلانة... ادري لكن هذا نصيب..... والعروس.... هي لم تعد عروس..... لكنها طيبة وخلوقة.... واسألي سلوى عنها.....
- ما كأنا اهلك..... تتزوج وتجيّب عيال وأنا وأبوك آخر من يعلم الله يا يوسف .. الله اكبر ...
- أنتي اتركي أبوي الآن على جنب.... وهذا الموضوع قد انتهى مع أبي.. وبارك لي ولم يعد إلا أنتي..... والناس كذا يا أُمي... تزوجت حلال على سنة الله ورسوله..... من امرأة عفيفة شريفة ومن أسرة طيبة ... وأموري مستورة... ولم ارتكب جرم او معصية ..
- وخالك.... ايش أقول له ...
- أنتي لا تقولين له شيء..... اتركي سلوى هي اللي تقول لخالي... أنت خليك بعيدة عن الموضوع.... بس أبغى رضاك..... حرام تلقيني ظهرك زي اليوم..... اذا تبغين أروح أجيبها عنكم من بكرة انا أروح أجيبها.....
- لا أشوفها تدخل هذا البيت..... وإلا اترك البيت أنا وأروح بيت خالك..
- ما أظن ان تتركي الوالد وتذهبين بعيدا عنه بعد هذا العمر..
- بسببك.... ممكن كل شيء يصير ...
- الله اكبر..... إنني الآن أجهز غرفتها في شقتي فوق....
- وسلوى راضية...
- هي التي اشترت الغرفة وهي اللي فرشتها
- لا اله الا اللهصحيح... الله لا يغطنا ؟

- أسألها.... لكن رباب هي التي سوت لها غرفة في شقتها في جدة
ولو تعلمين كيف استقبلتها يا أمي..... الأمر بسيط وهي وسلوى زي
الأخواتبس أنتي الله يهديك ما خليتيني افهمك بالموضوع
....وزعلتي على طول بينما الحياة طيبة.... قلت لك ما أريد إلا رضاك
..رضاك وبس
- ضحكت ضحكة مسروق نصفها ..ولم يظهر منها الا النصف ...فقمت
وقبلت راسها مرة اخرى
- اجلس مكانك حتى أجيب القهوة ..
- يعني ما كان في خاطرك تقهويني من الأول ..
- أي والله..... لكن خلنا نتقهوى انا وأنت .. وهذا نصيب والله يكتب ما
فيه الخيرثم أتت بالقهوة وهي تردد ...والله انها رياح العقارب ...
- ما هي رياح العقارب...
- هي رياح تأتي قوية في اول الشتاء تحمل معها العقارب التي تأتي الى
البيوت هرباً من البرد ... وأحيانا تأتي في الصيف لتهرب من القبط...
- وما علاقة ذلك بوضعنا..؟
- كنت اقول لأبوك دائماً .. إنني اخشي ان تكون سفراتك المتكررة إلى جدة
..... مثل رياح العقارب.... وقد صدقت توقعاتي لكن هذا نصيب وخلاص
....ولم اخرج من عند أمي إلا وقد أعلنت موافقتها على حضور رباب
إلى قرية الحفيا..

بدأت اخطط لإنتقال رباب معي الى القرية كما انني اقنعتها ان تأخذ اجازة من العمل اولاً ثم تقرر بعد ذلك في البقاء في القرية او العودة الى جدة وتم الاتفاق مع عبد الجليل ان يأخذ حصة اكبر من الارباح ليقوم بالاشراف التام على تجارتنا التي بدأنا التجهيز لها وأعود انا الى قرية الحفياء..

وطلب مني عبد الجليل ان اكلم اخوه طاهر .. وقال ..: انا اعلم انه يودك كثيراً....

وذهبت انا وعبد الجليل لمقابلة طاهر في شقته بعد اذان العشاء .. فاستقبلني بحفاوة وتكلم عبد الجليل وقال ان يوسف له رغبة في ان تذهب معه رباب الى القرية ولكن الامر عندك...

- هذا الرجل له علينا دين لا ننساه له ابدا ومن حقنا ان نقوم بواجبه فهو يستاهل كل خير من دون هذا الأمر الذي هو من حقه الشرعي وهو الذي يقرر وليس نحن..

- أنا وانتم الآن عائلة واحدة ولم أقم بأكثر من واجبي تجاه الجميع .. لكنني اريد ان انتقل بها الى القرية ...

- هذا من حقك اذا اتفقتم فليس لدينا أي مانع .. هل كلمت رباب في ذلك؟
- نعم ونحن متفقين على ذلك ..

- اذاً نحن لا نمانع .. ابداً... وكما قلت لك نحن الان نريد ان نرد بعض الدين والجميل الذي طوقت به رقابنا ..

عدت وحدي الى القرية في ذلك الاسبوع على أن أعود في الاسبوع المقبل لتكون رباب قد رتبت وضعها في العمل ثم ننتقل الى القرية.. وفي الاسبوع التالي ذهبت الى جدة واخذت زوجتي رباب مع اطفالها ... كنت قد انجبت منها ابني خالد وسافرت بهم الى قرية الحفياء ... كان وصولنا الى القرية ليلاً والظلام يلف الارض ... والطريق لا يرى منها

الا ما تكتسحه انوار السيارة كانت رباب وجلة قليلة الكلام اثناء الطريق...

كان يسبقها الى القرية خوفاً قوياً من المجهول الذي هي ذاهبة إليه
نعم كانت خائفة... وحزنها كانت تختزنه في صدرها طيلة اوقات الرحلة ..

عندما وصلنا استقبلتنا سلوى في فناء البيت.... اما أهل البيت الباقين فقد ناموا جميعاً.. ثم دخلت بها سلوى الى المجلس ثم الى الغرفة التي أعدتها لها وكأنها بذلك ترد لها الجميل الذي عملته معها عند سفرها الى جدة ..

وفي صباح اليوم التالي فتحت رباب نافذة غرفتها.... لترى البيوت المتناثرة على سفوح الجبال كانت الشمس تشرق على البيوت والوادي في دعة وسكون.... وكان كل شئ هنا ينتظر دفء الشمس الذي تخرج أشعتها من بين أغصان الأشجار المنتشرة في كل مكان كأسلاك الذهب ... كان البيت في أعلى تلة في وسط الوادي وكانت مساحة الأفق تنكسر امام الجبال الشاهقة التي تمنع امتداد البصر الى ما لا نهاية وكانت السحب تداعب الشمس في الأفق البعيد..... فتحت البلكونة المطلة على فناء البيت الأمامي وخرجت لترى ما حول هذه البيوت..... اغلبها بلا أسوار الأطفال من حول البيوت يستعدون للذهاب إلى المدارس .. هناك اثار نار ودخان ينبعث من حول بعض البيوت وصوت العصافير يملأ أحشاء الأشجار التي تغطي معظم سفوح الجبال وبطن الوادي ...

عادت إلى الشقة... عقاب لازال نائماً وكذلك خالد تسمع أصوات اطفال في الطريق وهم ذاهبون الى المدرسة
ثم بعد ذلك رأت طابور الصباح للتلاميذ امام المدرسة
وصوت مدرب التلاميذ اللله انه منظر جميل جداً. الطلاب ينشدون النشيد الوطني..

سارعي للمجد والعلواء مجدي لخالق السماء
وارفعي الخفاق اخضر يحمل النور المسطر

.. ويمارسون التمرينات الرياضية.. واصوات لجة طلاب المدرسة
..... عند ذلك سمعت حركة سير في في الدور الأرضي .. فعادت الى غرفتها
.... حاولت ان تنام ووضعت رأسها على المخدة المعطرة جداً إلا أنها لم تنم ..

خرجت تمشي في الشقة... اما سلوى فلم تخرج من غرفتها بعد.... كادت أن
تنزل الى فناء البيت ...

غير أنها عادت بأفكارها إلى الورااء....لابد ان انتظر سلوى ثم انزل
معه.... وعادت الى غرفتها لكنها آثرت أن تجلس في البلكونة مرة أخرى
.. رأت في فناء البيت ذلك الرجل الذي ترى انه بين الخمسين والستين
من عمره تقريباً.. فأدركت انه ابي..... ضخم الجسم لازال اغلب شعر
وجهه ورأسه اسود...كان رأسه مكشوفاً.... فبدت لها صلعة في وسط
رأسه حيث أنها كانت تنتظر إليه من الدور الثاني ... كان بالقرب من سيارته
الجيب وقد فتح بابها وتركه مفتوحاً.. وحوله امرأة .. فقالت في نفسها لابد
انها ام يوسف.... كانت تلبس ثوباً اسود قد طرز بخيوط صفراء ممدده من
أسفل الثوب إلى أعلاه.. بنقش هندسي بديع ... حدثتها نفسها :
هل انزل اسلم عليهما لا لا لا... ان هذه تعتبر جرأة غير محمودة.. فقد تفسر
على أنها طيش او عدم احترام للقوانين والعادات والعرفان سكان القرية
لا زال لديهم عادات لا تقبل القسمة على اثنين ابدًا....

وبعد ان سمعت وقع أقدام في الشقة عرفت ان سلوى قد قامت من
غرفتها..فخرجت إلى الصالون .. وجدتها جالسة في الصالون تنتظر
خروجها أما انا فقد ذهبت الى السوق...ثم نزلت سلوى معها الى امي ...
عندما سلمت عليها رباب كان الاستقبال بارداً ٠٠ بل هو البرد بعينه
حتى أنها أخافتها بذلك الوجه المكفهر الذي استقبلتها به...

أدخلت ضيفتها في دوامة وخوف من المجهول الذي تحس انه ينتظرها
في هذه القرية.... وشعرت من تلك اللحظة انها ضيفة غير مرغوب فيها
وأن الحياة تنكمش في وجهها في هذا البيت ... كانت امي تحمق فيها
بريبة متعبة...كما كانت أحاديثها معها مختصرة رغم محاوله سلوى ان تلتف
الجو وتظهر لها طيبة رباب وأنها صديقتها...وأنهما قد اتفقتا على كل شئ

١٠٠.. الا ان ذلك لم يجدي .. حتى ابتسامتها ان ظهرت في وجهها فهي صفراء فاقع لونها تحمل في طياتها تهديد ووعد .. عملت لهن القهوة ثم جلست وأخذت تتفحصها ١٠٠ وجهها.. كفاها.... أحيانا تختلس النظر إليها بکراهية ... عندما كانت سلوى تتحدث كانت امي تلتفت اليها بكل جسمها وتترك رباب كأنها غير موجودة معهن (هكذا فهمت من وصف سلوى للمقابلة)..

كانت رباب خجولة بما فيه الكفاية.... تعمدت ان تكف عن الكلام او حتى النظر إليها كانت كلمات الترحيب قليلة جدا ولم تسألها عن أي شيء حتى... انتاب رباب عند ذلك القهر فاستأذنت وخرجت الى فناء البيت والغيط يملأ نفسها وتطوي فؤادها على حقد تلك المرأة التي لم تجد عندها كلمة طيبة او بشاشة وجه لمقدمها لماذا؟.... لا تدري ربما كان هذا من باب التعاطف مع زوجتي الأولى سلوى قد يكون هذا ولا بد ما تكشف الأيام كل ما هو مربوط في الصدور ...

خرجت تستنطق الطبيعة لتسألها عن حياه الناس في هذه القرية.... أسندت ظهرها الى جذع شجرة العرعر وأخذت تقلب نظرها في كل شيء تراه عيناها .. شعرت بغيبوبة عن الزمن وأهله..... أحست بالغربة الموجهة عن كل شيء ... عن أمها وأختها ... وعن القدر الذي عاشت فيه والذي جاء بها إلى هنا .. وماذا تنتظر من تلك العائلة... وفي هذا البيت بالذات..

- * ما أصعب ان يكون الإنسان غريباً.....
- * وما أصعب ان تجد الناس من حولك لا يريدون أن يشاهدوا صورتك او اثار أقدامك على الأرض التي يسكنون فيها....
- * اشياء كثيرة في صدرها كادت ان تخنقها ..
- * تصل عبرتها الى محاجر العيون ثم تردها لكنه تسقط من بين الجفون احيانا غصبا عنها
- * أخذت نظراتها التائهة تتجول في كل مكان حول البيت في سفوح الجبال وفي الاودية الخضراء ايضا ببطء وشتات ...

- * كانت تحسد تلك الطيور التي تسمع أصواتها وكأنها في عرس ومتفاهمة مع بعضها آه ليتني طائر
- * تأخرت سلوى فلم تلحق بها في فناء البيت ... هل سرّها ما فعلته عمتها ربما ام انها تحاول تلطيف العلاقة بيني وبينها .. لا ادري .. لا ادري لا ادري ..
- * اخذت الدموع تتساقط من عيناها لا شعورياً..
- * عادت إلى غرفتها ثم نظرت إلى ابنيها وأخذت تتذكر عندما ولد عقاب ثم نسب الى غير أبيه ثم هو السبب الذي اصلاً جاء بها الى هذه القرية ... نعم هو النصيب .. أي والله النصيب هذا الطفل الذي سيبقى سرا مكتوماً لا يعرف ابوه ولا نريده ان يعرفه وهذا القدر الذي اتصل بهذا الطفل كاد أبوه أن يلصق به وبأمه الخطيئة التي لا يغفرها الزمان ولا الإنسان ...
- * ولولا الله ثم يوسف وعبد الجليل لكانت حياتنا في جحيم...
- * من اجل ذلك لا بد ان تتحمل كل ما يأتي إليها من امي وكل العائلة بكل صبر وثقة وعزمت ان تحزم جراتها في وجهها وترد هذا المورد وتبقى صامدة مهما كان ذلك عسيراً هذا بالإضافة انها تجد أيضاً في نفسها فرح خفي في انني لن اخذلها ... فهي تعرفني ... لكنها كانت ترى من ذلك الموقف الذي وجدته من امي انها بدخولها هذا البيت كمن قذف بينهم قنبلة وهم على مائدة وترى انه ليس امامها الا الصبر ولعل الله لا يخيب ظنّها في البيت وأهله ..
- عادت سلوى بعد وقت ليس بالقصير اليها فوجدتها جامدة في غرفتها وكان الألم يكاد يفوح من عينيها..
- الله يا بنت الناس زعلتي أليس كذلك؟ هذه عمتي طيبة ٠٠ لا تحسبي حساب بعيد عمتي طيبة جدا ...
- ياستي ان شاء الله
- هي والله طيبة وهذا الموقف الذي رايته منها ليس موجهاً إليك ..
- إلى من اذا؟ قالتها بضحكة .. ينطق الألم من اطرافها ..

- هذا موجهه لي أنا..... انه نوع من المساندة والتعاطف الذي تبديه نحوي فأنا ابنة أخوها وهذا الأمر فهمته أنا.... لكن ليس ضدك...
 - هي تريد ان تقول لي أنها غير راضية بزواج يوسف مرة ثانية.... إنما أنت ستترين منها ما يسرك بإذن الله...
 - وستكون مثل امك.... هي طيبة.... وكان لابد من اتخاذ هذا الموقف رغم أنني غير راضية عنه..... غير أنها لابد أن تقول لي ذلك... هذه فكرتها ..
 - عسى..... انا والله يا اختي ما جيت اخطب عندكم في يوسف هو خطبني من أهلي وجابني إلى هنا..... والبنات على هذا المنوال أنت وأنا... وكل بنات المسلمين....
 - هذا القدر والمكتوب..... ارجوا ان لا تعطي الموضوع اكبر من حجمه .. المهم أنا وأنت .. اذا اتفقنا فليس لأحد عندنا شي....
 - هذا هو الكلام الصحيح وثقي تماما إنني سأكون أختك الصغيرة التي تحترمك وتقدرك وتضعك تاجا على رأسها... فهذا القدر قد جمع بيننا ومن الواجب أن نتساعد ونبقى اسرة مترابطة تجمعنا الكلمة الطيبة والصدق
 - بإذن الله .توكلي على الله ولن يكون إلا ما يرضيك بإذن الله ..
- عندما عدت من السوق وجدت رباب جالسة في غرفتها وقد فتحت نافذة الغرفة.. تتطلع الى الوادي.... وقفت بجانبها وقلت :
- كل شئ جميل في القرية اليس كذلك...؟
 - نعم ان المناظر الطبيعية هذه جميلة وتسلي عن النفس بعض الهموم والمتاعب ..
 - هل نزلت الى الفناء....؟
 - نعم كنت هناك في الصباح
 - وقابلت امي ..؟
 - نعم قابلتها.....كانت كذا... كأنها غير راضية عني..
 - لا ابدأ... امي طيبة سوف تحبينها كثيراً اذا عرفتھا جيداً... وقابلت ابي ..؟
 - لقد رايتھ في الصباح ايضا قبل ان يركب سيارته ويذهب..
 - هيا بنا للغداء
 - لقد اكلت قبل قليل....

- لا لابد ان نجلس جميعنا على الغدا.. امي ستكون معنا.....ثم اذا اردت ان تعودى الى الغرفة فهذا شأنك...
- ياللللللله اتركني الله يوفقك ... انني اخاف منها ..
- بل ستأتين معي ... وأذا قالت شيء . لا تردي عليها
- توكلنا على الله..

في تلك الليلة.....خرجت مع رباب بعد العشاء الى فناء البيت اريد ان اخرجها من الوضع النفسي الذي احتقنته من الوالدة في اول النهار.. اردت ان اشرح لها عن الحياة في القرية ..

ان القرية تعني لنا نحن القرويين الشيء الكثير .. ولعلك ستلاحظين ذلك .. لكن .. الصيف هنا له لون خاص ..
الليل هنا. الآن. هو السكون والنجوم الساطعة وسكون الليل لا يقطعه سوى نباح الكلاب في اطراف البيوت هنا وهناك او نقيق الضفادع. كما تسمعين في بطن الوادي.، والقمر هنا ساطع وحتى لو كان هلالا لرأيت له ضوء....بيته على الارض .. اما في النهار فأن الأزهار والاشجار تبعث في حياة الإنسان شعورا بأمليتجدد في فجر كل يوم...
في القرية ...ترابط وتعارف بين الأسر والعائلات حتى انك تشعرين أن أهل القرية يعرفون ميلاد كل شخص ينتمي اليها وكذلك تاريخ حياته الذي يتسلق فيها ايام عمره حتى يبلغ من الكبر عتيا أو يختطفه القدر في اثناء عبور ذلك العمر ...

.... طرقات القرية لا تكاد تخلو من الحركةقبل المغرب تزدهم هذه الطرق بقطعان الاغنام التي تعود الى حضائرها بجانب هذي البيوت القديمة والحديثة في آخر النهار ... هنا كل البيوت تربي اغناما وقد لا تكون كثيرة اما الرعاه فهم اصحاب القرية انفسهم ومن كل الاعمار ...فهناك الأطفال ومنهم كبار السن ايضا ..الجميع يشترك في هذا العمل

في كل صباح ستسمعين الصوت الذي نتلذذ بسماعه .. هذا الصوت الذي يقطع السكون ... انه صوت طاحون القرية وقد وضع صاحبة على مدخنته

شيئاً لا اعرفه حتى يكون صوته مرتفعاً ليعلم اهل القرية انه موجودا ثم يأتون اليه بحبوبهم ويقوم بطحنها لهم

أن الصوت في القرية ينتشر ويسير بسرعة كل ما هناك يجب أن تصغي بسمعك الى الدنيا وهي كفيلة ان تسمعك مأشئت من اصوات أكانت للطيور او للإنسان أو الضفادع أو حركة السيارات كل ذلك ... موجود في القرية بل كل ذلك موجود في قرية الحفياء..

صوت الينابيع اذ ينساب في عجل	سلي العصافير فيها حين يطربها
اضناه عشق الشذا ام بغية العسل	وسائلي النحل ما سر الزهور وهل
كيف اصطفتها وقالت ههنا اجلي	وسائلي كل اشجار العرار بها
والورد ماباله نشوان لم يمل	وسائلي الكاد والريحان ما صنعا
واستنطقها ستقضي دونما خجل	تيهي بها انها تاهت بزائرها
عبد الله يحيى الزهراني	

وكنت اكرر تلك الجلسات معها في نفس المكان بعد ان وجدت انها ترتاح لها وأغلب الاحيان تكون زوجتي سلوى معنا ايضاً....
كنت انظر اليها بعد فترة وأشعر انها استراحت في القرية وتأقلمت مع العائلة ...

اصبحت رباب في عز صباها ترفل في اثواب الصحة والجمال وتندرج في أعطاف الأنعمة والطمأنينة التي وجدتتها في البيت وأهله.
ومرت الايام واكتشفت رباب ان والدتي كانت فعلا طيبة واحبت رباب القرية بكل ما فيها من اشجار واحجار وبرد ورياح وتأقلمت سريعا مع قرية الحفياء... في تلك الفترة .. انجبت سلوى ابنتي فاطمة ..

بينما كانت رباب جالسة لوحدها في فناء المنزل وحولها ابناها عقاب وخالد
اخذت تحملق النظر فيهما..

الله هذا عقاب يشبه ابوه كثيرا الذي باعني أنا وأبني بفلوس كان يحلم ان
يتمتع بها من ثروة ابي فلما ابيت عليه ذلك تركني مثلما يترك الكلب عقيرته
بعد ان يشبع منها..وينصرف الى غير رجعة....

لقد عوضني الله خيراً... هذه العائلة الطيبة وهذه سلوى مثل اختي..... آه
.....لو تدري عن الألم الذي قاسيته في ايام شبابي..... لكنت عطفت علي
اكثراً..... انني لا انسى انني مررت بايام عصيبة..... تصعب ان يتمناها
الإنسان حتى لعدوه..... كم كانت مصيبيتي في ذلك الرجل الذي رماه القدر في
طريقي مثل النار الملهبة..... التي تحرق كل من يقترب منها....وقد احرقني
فعلاً.....تركني وانا في شهري الثالث من حملي ولم اكمل سنتين من
زواجي... من اجل انني لم اتنازل له عن حصتي من إرث ابي.....وانني لم
ارفع دعوى ضد اخواني واقدم له المال بعد ان قدمت له حياتي فعبث بها ثم
رماها....

آه....لا انسي تلك الليالي العصيبة عندما انكر هذا الولد....وانكر انني احمل
منه جنينا....آه... كم كانت الدنيا وسخة في عيني ...
لكنني كنت أثق ان الله لن يضيعني... فانا لم ارتكب جرماً ولم احمل
سفاحاً...ومن كان مع الله كان الله معه.... كنت ارى في عيون زوجات أقاربي
بعض الريبة حتى أصبحت مثل المرض المعدي الذي يهابه المجتمع كله....
كنت أجسد لهم الخوف الذي لا يدري احدهم متى يبدأ طوفانه...انهم جميعاً
يعرفون انني عفيفة شريفة... لكن الخوف ان يصدق الناس ما سيقوله سفيان...
ثم تنفضح العائلة كلها.... لقد حبست نفسي في بيت عبد الجليل عن كل
العيون انتظر من الله الفرج....وهو وحده الذي أنقذني..... وأصبح سفيان
هو الخاسر الكبير الذي سينال عقابه من الله في الدنيا والاخرة....
كنت اكنم مشاعري الحزينة التي يعصرها الخوف من العذاب والألم الذي لم
يجئ بعد.....لكن الله كبير..

في تلك اللحظة جاءت سلوى بابر يق من الشاي وقطعت عنها تلك الوسوس
لكنها سرعان ما عادت الى البيت بعد ان سمعت ابنتها فاطمة تبكي...وبقيت
رباب في مكانها ..فأتى عقاب وارتمى في حضنها...
وعادت اليها الذاكره والوسوس مره اخرى.. (هكذا كانت تقول لي
فيما بعد)...

انها تخاف ان تعرف سلوى او امي عن سر هذا لولد الغريب الذي يعيش
بينهم لكن هذا السر لا يعرفه سوى هي واخوانها ويوسف... لكن الخوف كل
الخوف من زوجات اقاربها رغم التحذيرات التي كان قد هدد بها طاهر كل
اقاربنا ..
لكن النساء ليس لهن امان...

بدأت احس ان حبها لي ياخذ شكل بركان يريد ان يخرج من حالة
الخمود.. اصبحت عاطفتها نحوي تتدفق بمشاعر حب صادق قوي
تنغمس فيه حتى اخمص قدمها.. تحولت مشاعر الخوف من حياة القرية
الى عطر الحياة الذي يسري في عروقها .. أصبحت ترى ان نور الحياة
يشرق من جديد وأن الحياة اكبر من ان يقوم شخص واحد مثل سفيان
بكري ويسد منافذ الامل بها وأن الله اكبر من كل شيء ..
ان الحل الوحيد لها الآن حتى يبقى هذا السر بعيداً عن كل الناس
.....ان تبقى هي في هذه القرية ..وبذلك سيبقى هذا السر بين جوانح اهله
وربك يسترها..... ارادت ان تطرد عنها تلك الوسوس فقامت الى حوض
الريحان وملأته بالماء وتصاعدت من داخل الحوض فقاعات من اماكن
مختلفة وكأن الحوض بكامله يريد ان يتحدث معها.....
وتمر الايام والشهور..
حملت رباب ثم انجبت بنتا اسميناها مروة.... اما سلوى فقد انجبت ولدا
واسمياه عبد الرحمن ..

في تلك الفترة طلبت من ابي الشقة الخالية المقابلة لشقته فأعطاني اياها
...وانتقلت رباب اليها وبذلك اخذت كل واحدة من زوجاتي الحرية في
الاستقلال بشقة مستقلة ...

كانت زيارات عبد الجليل لرباب المتكررة تشعرها بالراحة والسعادة
خصوصاً انه لا يأتي الا وهو محمل بالهدايا والفلوس التي تخصها من ربح
التجارة التي تدار بمعرفة ابن عمها الكبير طاهر ..
كانت بذلك لا تبخل على رفيقة العمر كما تقول لها دائماً سلوى فكانت تقتسم
معها الهدايا وحتى الأموال لابد ان يكون لها حصة منها .. وكانت تأتي زوجة
عبد الجليل معه أحياناً .. وبالأخص في أيام الصيف ولا بد ان يجلسوا
عندهم بعض الوقت للاستمتاع بالجو اللطيف والطبيعة الخلابة احبت امي
كثيراً واحبتها امي كثيراً ..

- اتصل بي عبد الجليل. وطلب مني المساعدة في اكمال المشروع الذي بدأ العمل فيه منذ فترة وإن كان العمل بطيئاً وتأخر كثيراً...:
- ان المشروع الان على وشك الافتتاح ولا بد من انتقالك الى جدة وأريد ان اخبرك ان رأس المال الذي رصدناه اوشك على النفاد وقد انتهيتا من التجهيز فقط. .. اقصد تجهيز المستودعات .. بقي علينا ان نستأجر دكان.... والباقي على زوج عمتي ..
 - والبضاعة..؟
 - سنأخذ بضاعة على التصريف..يعني اللي ينباع ٠٠ نأخذ حقنا من المكسب والباقي والذي ما ينباع نرجعه مع حصته من المكسب ...
 - توكل على الله اللي ينقص عليك انا حاضر .
 - وهو كذلك...
 - كانت المفاجأة..... ان رباب رفضت فكرة السفر الى جدة بكاملها... لكي تبقى بعيدة عن كل ما يذكرها بسفيان بكري ..
 - نحن هنا مبسوطين وهذا الشغل الذي نتحدث عنه سوف يربك حياتنا كلها وأنا لا أريد العودة الى جدة...
 - أنت كنت تحبين جدةماذا غيرك.....؟
 - انا لا أريد أن أعود إلى جدة إطلاقاً....
 - لماذا.....؟
 - أرى أنها تعود بذاكرتي الى سفيان بكري...
 - أين نحن من سفيان بكري.....
 - كذا أنا..... لا أريد ان أعيش في المكان الذي يعيش فيه...
 - (كان هاجسها ان سلوى قد تسمع كلاما عن سر ابنها عقاب وهذا الذي عليها ان تحرص كثيرا ان لا تعرفه سلوى ابداً..)
 - لكن عبد الجليل قد طلب مني ذلك..
 - لا مانع ان نشاركه ونحن هنا..
 - هذا الكلام لن يقبله...

- إذاً.. اتركه وشانه.... ونحن بخير ولا نريد ان نبعثر حياتنا فنحن في حالة طيبة.... إنني أحس إنني امرأة ولدت هنا من جديد.... لم يعد لدي الاستعداد لفتح جروحي الماضية ...

لا أريد ان يعود السهر يحفر في أجفاني ٠٠ انا الآن مرتاحة.... لا تنس انني اكره ذلك الماضي الكريه الذي عشته بتعب وخوف ٠٠ انا الآن احس معك في هذه القرية بالطمانينة فلا تردني الى الجحيم..... أرجوك..... ولاحظت أنها قد تغير لونها وهي تحدثني..... وانها مثل سنبله القمح التي زرعت في هذه القرية فامتألت بالحبوب واستوت يانعة ممتلئة بالحياة..... وأحست بالراحة والسعادة بعد ان تلبسها الخوف في بداية الأمر ان لا تستطيع هذه المسكينة التعايش مع جو القرية وعاداتها وطبائعها.... لقد أصبحت مكتظة بالأنوثة والجمال الذي أفردته حياة القرية وطبيعة المناطق الجبلية....

اخبرت عبد الجليل بما قالته رباب فاقتنع وصمم على ان ابقى شريكاً كاملاً حتى لو لم انتقل الى جدة .. وأخيراً تم الاتفاق على ان ابقى في القرية واستعد بادارة المشروع لوحده ...

دارت عجلة العمل في تجارتي انا و عبد الجليل واصبح لدينا مكتباً لإدارة العمل ومحاسبين وكذلك مستودعاً كبيراً في جنوب جدة كما ساعدنا طاهر باختيار بعض العاملين للعمل معنا .. كما استأجر عبد الجليل محلاً تجارياً ثانياً خلف فندق الرحاب ليكون معرضاً لبيع المفرق للبضائع المتوفرة في مستودعاتنا...

ولم تمض أكثر من ثلاث سنوات حتى تم تسديد رأس المال الذي بدأنا به المشروع... واتسعت تجارتنا

وتمر الأيام والسنين.... تعدى عقاب الثامنة عشرة من عمره وكانت صورته قريبة جداً من والده سفيان بكري

وتمر الايام لازالت رباب متمسكة بعدم السفر الى جدة والعيش فيها

...

كان الشبه الكبير الذي بين عقاب ووالده الحقيقي يزيد خوف رباب ان يتقدم والده بطلبه وهي لا تريد والده ان يراه أصلاً ولا تريد ان تشيع حولها او حول ابنها أي شبهة ..

او ان تفتح جراحها مرة أخرى..... وأيضا لا تريد سلوى ان يصلها أي خبر عن ذلك..... لذلك فقد حزمت أمرها أن البقاء في قرية الحفياء هو الملاذ الحقيقي لبقاء سرها مكتوماً مطوياً في صفحات الغيبنعم انه السر الذي تريد أن تموت وهو لازال مدفون في صدرها مهما كلفها ذلك... لكن عبد الجليل لا زال يطلب مني الانتقال والعيش في جدة ..

كنت اعتذر بالوالدين ولم يعد بوسعي تركهما والعيش بعيدا عنهما لكنني كنت اتناقش مع رباب احياناً من باب الدعابة بعدما رأيت تمسكها بالعيش في القرية

- ان عبد الجليل يحتاج الى مساعده وتجارتنا كبرت ولا بد مانكون حوله...
- دعه هو يتصرفلقد ادار العمل خلال الفترة السابقة فما الذي يضيره الآن دعه يتصرف انا لا أريد أن أسافر الى جدة.... قلت لك أكثر من مرة هل تريد ان تطردنا من هنا... قالت ذلك بابتسامة مرحة ممزوجة بعتاب وألم ...

- ابدأ..... لكن الحلال عدل الروح...
- بالعكس الروح لا يعدلها شئ أبداًإنني لا أريد عقاب ان يعيش في الأرض التي عاش فيها أبوه..
- أن أبوه لا يريد أيضاً.....
- اذا هنا أفضل نعيش ونحن في راحة عن سفيان وأمثاله..
- اقنعي عبد الجليلانه كل يوم يتصل بي ويطلب المساعدة.
- اترك لي عبد الجليل انا أقنعه..
اشترت رباب لعقاب سيارة من أموالها الخاصة وأصبح شاباً فتياً..

كانت رباب تقف بجانب عقاب وهو راكب في سيارته في صباح ذلك اليوم ..ذاهبا الى المدرسة الثانوية ومعه بقية إخوته..... يذهب بهم الى مدارسهم ثم يذهب أخيرا الى مدرسته ... أخذت ترقبه حتى غاب عن نظرها وأخذت تفكر فيما قلته لها في الأسبوع الماضي

الآن عقاب كبر وأصبح شاباً.....وهو وابنتي فاطمة في عمر المراهقة
ولا ادري كيف أتصرف...
- انها في شقة والدتها هي واخواتها ونحن في شقتنا...
- لكنه اجنبي كما تعلمين واعلم انا انه ليس أخوها ..
- ماذا تريد ان تقول....؟
- لا شيء ..انا ارى ان عقاب عاقل وهو بحكم اخوها.. لكن ..
- انت أكثر الناس معرفة بعقاب فهو بحكم اخوهم ..وهذا الود الذي تراه
منه لهم يجعلك تنظر اليه بارتياح .. وكلها فترة بسيطة ثم تتزوج فاطمة ثم
يتزوج عقاب ايضا..... وكل شخص لابد ان ياخذ نصيبه.... وهو سأكمل
المرحلة الثانوية ثم يسافر الى جدة لإكمال دراسته عند اخواله .. وعند ذلك
يمكن ان يبتعد عما يشغل بالك ..

كانت مناقشتي معها في موضوع عقاب ...تنذرنا ان هذا الهاجس الذي لدي
ربما يكبر في يوم من الايام....
وقد يكون الحل المناسب ان يذهب عقاب ليكمل دراسته الجامعية في جدة
ومن ثم نزوره انا وهي في كل اسبوع لمتابعة احواله هناك .. وقد
يكون المستقبل ينطوي على خير لا نفهمه ... ثم انني اريد سعادتها وأريدها
ان تبقى هنا فهي متمسكة بالحياة في القرية الى آخر العمرولا يعلم ما
في صفحات الغيب الا الله حتى وان كانت لا تريد احدا من العائلة
ان يسمع ويتلقف ذلك الخبر المفجع ان عقاب ليس ابنيفالموت اهون
عليها من ان ينتشر هذا الخبر بين نساء قرية الحفياء.....

بعد فتره من زواجي من رباب استطاع عبد الجليل ان يسرب الى سفيان بكري خبرا عن رباب ان اخوتها قد تخلصوا من الجنين الذي في بطنها والذي انكره سفيان بكري ٠٠ كان هذا الخبر رغم شناعته الا ان سفيان بكري ارتاح لذلك ونسي بعد ذلك كل شئ..

لكن الله سبحانه ليس بغافل عن مايعمل الظالمون ٠٠ لقد تزوج سفيان بكري من ابنة عمه ولم ينجب منها فترة من الزمن وكان يحبها كثيرا وعالجها حتى انجبت له اربعة اولاد وثلاث بنات فكبروا في دلال زائد بحكم محبته لزوجته تلك لكن الله سبحانه قد اختارهم الى جواره فماتوا جميعا ولم يبق له الا بنتين ٠٠ كان هناك هاجس يدق في راس سفيان ان ذلك انتقاما لذلك العمل الشنيع الذي اقدم عليه وهو التتكر لذلك الجنين الذي اسقطته رباب بعد طلاقها...

كان قد انتقل الى اعمال التجارة وأعطاه ابوه متجراً في الخاسكية وسارت اعمال التجارة معه بعجلة سريعة الى درجات الغنى ومع حبه الشديد للمال فقد جمع ثروة كبيرة في وقت قصير ...

اصبحت حياه سفيان جحيما وكانت ابنته كوثر مصدر حزن شديد تذكره بهما في كل لحظة لقد فقدت قدماها في حادث سير مؤلم مات على اثره زوجها وبيقت هي مقعدة في البيت . اما اختها الاخرى فقد تزوجت من قريب لها ايضاً يشبه ابوها سفيان بكري في تصرفاته .. وليست مرتاحة معه وفي فترة قصيرة ايضاً انقلبت جنة سفيان بكري الى جحيما..

لازال سفيان بكري الرجل الذي له هيبة وسطوة ولا زال ذلك الرجل المخيف والسلطوي الجشع الذي يحاول البحث عن المال والثراء بسرعة وبرغم تجارته الكبيرة وعقاراته المنتشرة في كل اسواق جدة الا انه كان متمكن من متابعة حساباته وثروته بحذاقة ومقدرة فائقة.. اخذت الايام والسنين تطويه طياً متعباً فلم يعد جسمه الا كالقميص المغسول الذي امتلاء بوساخات الاخلاق والقيم

وتمر الايام ويلتحق عقاب بالجامعة في جدة.... اما انا فقد بقيت كما رسمت
رباب بين جدة وقرية الحفيا..

وفي ذات يوم وبينما كان طاهر في مكتبه اذ دخل عليه سفيان في حاله لا يحسد
عليها..

- السلام عليكم
- وعليك السلام (كان استقبال طاهر له فاتراً جداً..)
- كأنك لم تعرفني....؟
- بلى عرفتك انا ما أنساك ابداً ... انت الذي تعتقد ان الله سيتركك تظلم
وتقهر وتعيث في الارض فسادا ولا يحاسبك ...
- من اجل هذا جئت...
- عد الى ربك اولاً..... ثم انظر في افعالك اللتي سوف يحاسبك الله عليها....
- لقد حاسبنيفاختطف مني اغلى ما عندي وزوجتي مريضة وانا
بقيت كما ترى .. فلا تشمت بي اكثر من ذلك .
- هذا عقاب الدنيا ولا بد ان يكون عقاب الاخرة اكبر عند الله..
- (انت تعتقد ان الله لا يراك ولا يدري عن بلاويك)
- قلت لك من اجل هذا جئتك...
- ماذا تريد مني....؟
- اريدك ان تاخذ لي السماح من رباب...
- انا متأكد انها لن تسامحك...

انت قد رميتها بجريمة لولا اننا نعرف انها طاهرة وعفيفة لقتلناها وتكون
انت المتسبب في قتلها ... انت اعوذ بالله ... ماتخاف من الله ... او ربما كنت تامن
من مكر الله....

- يابن الحلال انا يكفيني الذي بي... اريدك ان تستسمح لي من اختك وجزاكم
الله خيرا والله انني من بعدها وانا احس بالذنب وكل يوم اقول سوف
اطلب منها السماح... لكنني تماديت وطالت بي المدة حتى اصبحت كما
ترى.. وانا مستعد بكل ماتطلب...

- انا ابلغها بذلك.... لكنها لا تريد منك شئ....
- ظروري الله يوفقك....
- واذا طلبت مقابل للسماح...
- انا ما عندي مانع.... تطلب ماتريده وانا حاضر....
- والله يابن الحلال... ما ادري لكن انا علي ان انقل الخبر وهي وماترى....
- الله اعلم بها..
- اتصل طاهر باخته وقال لها ::
- سفيان بكري يطلب منك السماح ..
- سفيان الله ينتقم منه..
- لا تدعي عليه.... لقد كفأك الله فيه ...
- حسبنا ونعم الوكيل...
- لقد مات اولاده وزوجته مريضة واصبح في اسوأ حال ..
- هذه عاقبة الظالم
- الله سبحانه هو المنتقم الجبار.... لكنني رايته في حاله يرثى لها ...
- وماذا كان يريد منك....
- كان يريد ان اطلب له منك السماح... انه يطلب السماح...
- مني انا....؟
- نعم منك انت..
- الله لا يسامحه..
- لقد لجغه الدهر ٠٠ واصبح في حاله يرثى لها ...
- هذا جزاء المجرمين في الدنيا... وما عند الله له والامثاله اعظم يوم القيامة
- ...والله سبحانه هو المنتقم الجبار...
- انا قلت له لقد سببت لنا جميعا جرحاً غائراً فبكى وشرح لي ظروفه وقال
- ربما ان هذا كان عاقبة افعاله السيئة ...
- اذا اردت انت ان تسامح فهذا شأنك... اما انا فلن اتنازل عن حقي ..
- (وعند الله تجتمع الخصوم)...
- وهذا شأنك. انت ايضاً..... كما تريدين
- هو لم يعلم ان الله موجود يسمع ويرى ... ولولا انتقام الله منه لن
- يرعوي ابداً الآن يمكن عرف ان الله حق ..

- انت وما ترين ..

لم تتم رباب ليلتها تلك وكانت تقول في نفسها ان سفيان البكري مادام قد وصل الى طاهر فلا بد ان يصل الى عقاب وكانت الاسئلة والاجوبة تتضارب في مخيلتها .. وترى ان الخطر قائم وقادم لا محاله .. فاين المهرب.....
اصبح هذا الامر شغلها الشاغل وكانت تذهب الى عقاب في جدة كل نهاية اسبوع فهو قد انتقل الى هناك للدراسة وسكن في الشقة التي كانت بها امه

سافرت الى جدة وطلبت من عقاب ان يوصلها الى شاطئ البحر..... جلست هناك بعيدا عن المرتادين للبحر واخذتها الأفكار فقامت تمشي بعيداً عن ذلك المكان الذي وقف فيه عقاب بسيارته..

اخذت تمشي بقدميها الحافيتين تارة على الماء وتارة على اليابس
كانت تحس ان عبث الماء بأقدامها يخفف من عبث الهم الذي يعبث بصدرها
كادت ان تجلس في الماء .. افكارها مشتتة .. وعيناها ذابلتان والمشكى على رب العالمين وحده...
مالذي حذف هذا الرجل علينا الآن... بعدما ابعد الله كل هذه الفترة.... لكن الجواب كان جاهزا..
انه لا يطلب الا الصفح..... ولو انني ابليت طاهر انني قد عفوت عنه لأنتهى الامر عند ذلك...

لكنني لا اريده يرتاح.... فكم اسهر عيني.... وكم اذاقني المر الذي لازلت اجد مذاقه حتى في اقصى حلقي وكراهيته لا زالت حتى تحت اظفري رغم هذه السنين الطويلة... الا انني.... لازلت اشعر انها ايام العذاب الذي اجتريه الآن وأعيد مضغه مرة اخرى ..

اخذت تمشي على سيف البحر واطفالها الصغار من خلفها اما خالد وعقاب فهما جالسان في المكان الذي وصلا اليه اولاً.... تاهت بها خطواتها حتى تعبت من المشي الذي تعلم انه لن يوصلها الى أي مكان..... وانما لمجرد البوح الذي

تبثه اقدمها الى الماء والطين الذي يرتطم بها الموج نعم ٠٠ انه الترويح عن القلب والجسد.... هذا البحر هو لإمتصاص معاناة الناس.... يبتلعها اسرار محفوظة لهم....

هكذا سارت رباب حتى تعبت ثم عادت ادراجها الى المكان الذي يجلس فيه ابناها .. حيث جلسوا جميعا الى وقت متأخر من الليل وعادوا الى الشقة..

بدأ عقاب يساعد خاله عبد الجليل في اعمال التجارة عندما لا تكون لديه محاضرات في الجامعة وقد استلم محاسبة المعرض الذي في البلد.... وذات يوما طلبت رباب من ابنها ان يوصلها مع اطفالها الى البحر عندما كانت في نهاية الأسبوع في زيارة له في جدة.. لكنه اصر على المرور من المكتب لتسليم بعض الوثائق الى خاله عبد الجليل....

عند باب المكتب الذي يقع في عمارة قريبة من الدكان ... كان هناك عدد من العمال اللذين يجلسون على ابواب المحلات المجاورة ...

كانت رباب تجلس في السيارة تنتظر عودة عقاب من المكتب ليذهب معها وأخوته الى البحر ... وكانت المفاجأة ان سفيان بكري كان جالساً معهم .. نعم انه هو انه زوجها السابق ... لم تكن المسافه بينهما اكثر من خمسة امتار...

كانت رباب تسمع ضحكات هؤلاء العمال ... وكلامهم.. فقال احدهم ...

- شوف يا عم سفيان هذا الولد والله يشبهك كثيرا...
- يخلق من الشبه اربعين..
- ربما..

كانت تسمع هذا الكلام بعد ان تأكدت من الاسم الذي ناداه به زميله انه سفيان بكري ... الله.... ماهذه الحالة التي هو بها ... الله لا يرده هذا جزاه ... ولا بد ان عقابه في الاخرة اشد تنكيلا.....

لكنها كانت تتململ في مكانها عصفت براسها دوامة من الخواطر المتناثرة تذكرته هو والأيام التي قضتها معه تلك الأيام الصعبة المملوطة بالسواد ووجدت ان كل جزء من لحمها وعصبيها يصطفق لوحده كانت تتذكر أيام الاستعباد وحياة الذل الذي اذاقها سفيان بكري

في تلك اللحظة عاد عقاب من مكتبه ... وخرج بسيارته من المكان الذي مزج أفكارها بالروائح الكريهة التي ترى أنها عادت إليها الآن الى درجة التقزز .. خرجت إلى خارج السوق وهي في خوف ووجل لا يعلم به الا الله.. .. بل ايقنت أن الفاس لا بد ان تقع في الراس قريباً ... وهذا

الامر لا مفر منه... إلا أن يلطف الله بها.. والله على كل شئ قدير (كنت أريد ان أهرب منك طول عمري لكن الأقدار جابتني .. واللله يستر)..... وعادت الى قرية الحفيا في اليوم التالي ..

أخذ عقاب يتردد كثير على دكان خاله عبدالجليل وكانت كلمة ذلك الرجل تتردد في اذن سفيان عندما قال له .. هذا الولد يشبهك يا عم سفيان.... وغدى كل ما رآه داخل الدكان أو خارجا منه يسمع صدى تلك الكلمة (هذا الولد يشبهك يا عم سفيان).. فقرر ان يسأل عن ذلك الشاب فأرسل احد عماله وكانت المفاجأة عندما عاد اليه الرجل قائلاً انه ابن اخت عبدالجليل هكذا كان الخبر..... فبدأ سفيان يطحنه الشك .. وعادت ذاكرته تتذكر وتعيد تلك الايام التي كانت رباب حاملاً ..

* ان عبد الجليل قال ..: ان هذا الجنين قد اسقط ...

* هل يكون هو هذا الولد.... ولم يسقط الجنين كما قال عبد الجليل...

* من هو ابوه إذا..؟

* لكن عبدالجليل يقول انهم اسقطوه!

* ربما عبد الجليل قد كذب علي!

ارسل عليه بعد ذلك احد عماله (موفق) وطلب منه مفاوضات على العمل معهم حتى يعرف حقيقته... وأن يحاول ان يدفع له ما يشاء المهم ان ينتقل عنده بأي ثمن ...

* قابله ذلك الشاب اكثر من مرة وأخذ يعرض عليه الخروج معه الى خارج السوق ويعزمه في بعض المطاعم الفخمة حتى استطاع أن يكسب ثقته ثم عرض عليه بعد ذلك العمل معه في شركة سفيان بكري اصبح عقاب يزور زميله موفق في مكتب سفيان بكري وصل عقاب الى مكتب سفيان ذات يوم لكن سفيان لم يكن موجودا به وسأله موفق؟

- انت بكم تشتغل عند عبد الجليل...

- الفين ريال فقط....
- ايش رايك تشتغل عندنا هنانحن نحتاج الى شاب يعرف الشغل ويكون مسئول عن الحسابات..
- ما اقدر.....هذا خالي وقد يزعل عليّ وأبي شريك معه ..
- اولاً... عندهم عمالة زائدة وثانياًانا بعطيك راتب مجزي..
- وخالك يحب لك الخير .. ثم هو لن يعرف بذلك ... انت شغاك هنا ... في المكتب ..
- ضحك عقاب وقال.....: كم تعطيني...
- خمسة الاف...
- انا الآن ادرس ...ولا اشتغل إلا أيام العطلة او بعد الدوام...
- يعني كم بتأخذ راتب اذا تخرجت.....! وإذا اعطيتك زيادة كل سنة الف ريال... وأنت - جربنا كم شهر وبعدين قرر..
- اشتغل بعدما انهي دوامي عند خالي ..
- ياسيدي موافقين.. بس ما تقول لخالك علشان ما يزعل علينا ايضاً.....
- اشوف واشاور ... وأنا احرص منكم على هذا الأمر ..
- هذه فرصة وانت احسب حسابك وانا بكلامي هذا اكتب لك عقد وعليه شهود ولا تجد عندي الا الوفاء.. وانت حراذا بقيت على الالفين الريال التي يعطيكها خالك فانت حر..
- اشاور واشوف ..
- على راحتك..
- كان العرض مغري لشاب مثله وعلى اثر ذلك فكر في ترك الجامعة وانتقل الى مكتب سفيان بكري وكان بعيداً عن دكان خاله وبدأ العمل مع سفيان بعد خروجه من مكتب خاله ولم يعلم عبد الجليل بما حدث وبدأ يتأخر عن العمل مع خاله ايضاً ..
- طلب موفق من عقاب احضار البطاقة وشدد على وجود شهادة الميلاد ان وجدت فأعذر عقاب بأن الشهادة ليست موجودة عنده لكنه اعطاه صورة من البطاقة.. ثم اخذ منه معلومات مبدئية
- الاسم ...؟

- عقاب يوسف رضوان..
- العمر...؟
- ٢٢ سنة..
- اسم الام...؟
- رباب..
- رباب مين..؟
- اش دخل امي في هذا ..
- لابد من ان تكون المعلومات كاملة ..
- رباب سالم ابو رقبة ..

كان واضحا عليها مكان الميلاد الامارات العربية المتحدة لكن تاريخ الميلاد كان واضحا ١٤٠٣/٧/٨ واخبر سفيان بذلك..... اخذ سفيان تاريخ الميلاد وبدأ يتفحص تاريخ الميلاد هو ١٤٠٣/٧/٨ والطلاق صار في ١٤٠٣/١/٤ هناك تقريبا ستة اشهر بين بين الطلاق وبين ولادة الشاب ولا يكمن ان تلد المرأة طفلين في سنة واحدة وتأكد الآن انه ابنه..... لكنه لا يملك صورة من صك الطلاق الذي سلمه لخاله عبد الجليل لكن الشبه الكبير ... يحتمل فيه ان يكون هذا الولد ابنه من دون جدال ..

طلب سفيان بكري من موفق الاعتناء بالولد واعطائه كل متطلباته وتغيرت احوال الولد فزادت المكافآت..... وكثرت الاكراميات..... حتى انه اشترى له سيارة جديدة

انقطع عقاب عن الدراسة في الجامعة كما تعذر عن العمل مع خاله بدعوى اكمال الدراسة..

ولم تعلم امه في يوم من الايام..إلا وعقاب قد وصل الى قرية الحفياء بسيارة جديدة وجلس عندهم ثلاثة ايام واخبرهم انه قد ترك الدراسة واشتغل في شركة ..

بدأ سفيان بعد ذلك يعد نفسه لكي يتعرف الولد بعائلته دون ان يشعر عقاب بما يريد ابوه فاخذ يسند اليه اهم المعاملات ويكلفه بالسفر الى خارج المملكة والتعاقد على صفقات تجارية .. حتى اطمأن عقاب ..

كان يذهب معه الى البحر تارة... والى بعض المنتزهات تارة اخرى حتى
تعلق عقاب بسفيان بكري ...
اخذه البيت اكثر من مرة

كان عقاب يلتقي بخاله بين حين وآخر ويعتذر عن قلّة مقابلته
بالدراسة وكانت هذه من ضمن توصيات سفيان بكري... واعد سفيان اختبار
لعقاب وامه وخاله وسوف يكون القول الفصل في ذلك

وقرران يضع الجميع في بوتقة الاختبار فقال له..:

- انا الان اثق فيك وانا عندي بنت في سن الزواج فانا اريد ان ازوجكها
- انا يشرفني ذلك.....لكن..!
- ما فيه لكن...شرطي الوحيد ان والدك ووالدتك يحضران خطوبتها وحتى
خالك عبد الجليل.... بل كل اخوالك..... انا ابغى اسوي حفل كبيرتعرف
انا انسان مبسوطوابغى افرح ببنتي وكل شي انا اتحملة ستجد البيت
والسيارة وكل متطلبات الحياة انا جاهز...ولا تدخل الا بملابسك
.....وانت حر ..ما بتلقى زي هذا العرض ...انا اخترتك للبنت لانني وجدتك
رجل يمكن ان تقوم بعلمي.... وبتجارتني وكذلك تحافظ على ابنتيوترعى
مصالحها وتحترمها،.....
- يكتب الله ما فيه الخير.....
- انت قلت ان اهلك ما هم في جدة....؟
- لا..... اهلي في بلجرشي....
- اذاً ما هناك مشكلة تروح وتشاورهم ولا بد ان يحضروا عقد الملاك
.....وعند ذلك وضع الحبل في عنقه ثم اطلقه ..

لم تكن الدنيا تسع عقاب فانطلق الى قرية الحفياء وكانت الفرحة ظاهرة على وجهه ويرى ان السعادة قد وضعت بين يديه.....وعندما وصل القرية وجدني جالسا مع رباب في شقتها و بدأ يحدثنا عن عمله الجديد وعن صاحب الشركة الذي يجزل عليه الهدايا والهباتثم فاتحنا في موضوع الزواج....

- صاحب الشركة قد عرض على الزواج من ابنته وانا وافقت واريدكما ان تحضرا معي -----قد الملاك وقد خصص لنا قلة جديدة واتثها بكل متطلباتها ..

- خلاص ...الله يوفقك ...ما اسم صاحب الشركة ...قالت ذلك رباب ..؟
- اسمه سفيان بكري.....

(في تلك الحظه تلاقت عيناى مع عينا رباب بطريقة سريعة وبدهشة علاها الخوف والوجل) وكاننا قد صعقنا كهربائيا . فصحنا بصوت واحد ..
- سفيان بكري...؟

- نعم اسمه سفيان بكريانتم تعرفونه..؟
- لا..... لكن هذا مجرم ..وكل اللي في السوق يقولون عنه كلام كثير.. وسمعتة سيئة جداً..

- كيف تعرف السوق او الكلام الذي يقال فيه يا بوي..... أنا متأكد إنك ما تعرفهانا أعرف انه إنسان محترم جدا..

- لا محترم ولا شي..... انت سوف تتزوج من عندنا من قرية الحفياء..
- لا ابدأانا سوف اتزوجها وخلص قد اتفقت انا واياه.....
- لاانت لن تتزوجهاوماهو على كيفك قلت ذلك انا ..
- ابغى سبب واحد وجيه بهذا الخصوص..... الرجل محترمني ويساعدني واكثر من ولده ...وانا ما ابغى اكثر من ذلك.....

- لو ما يبقى في الخلق الا هذا الانسان انا لن اوافق عليه .
- بكيفك ان احببت تجي تخطبها معي وإلا انا سوف اتزوج هذه البنت لو كان اموت

- هل يعرف خالك عبد الجليل بذلك او خالك طاهر ...

- لا....
-(تلاقت عيناى ورباب مرة اخرى)...
- هل طلب صورة بطاقتك.....؟
- طبعي... هذا لابد منه عندما انتقلت اليه وتوظفت....
- هل سألك عن طفولتك وعن حياتك ومكان ولادتك..؟
- نعم..... كثير...
- وانت اخبرته بمكان الميلاد وعن حياتك في قرية الحفيا..
- نعمومرات كثيرة
- (.....تلاقت عيناى مرة اخرى)
- ما الامر..؟....ارى أن هناك شيئاً قد اكون انا الوحيد الذي لا أعرفه.....
- ثارت رباب في ولدها مختلطة ثورتها ببكاء مرير جداً:
- اقول لك انت لن تذهب مرة اخرى الى جدة ولن نتقابل هذا الخبيث مرة اخرى
- ولن تتزوج ابنته لو اموت...
- ليش؟
- كذا حنا نعرف مصلحتك... قالت ذلك رباب ...
- ما هو على كيفك ..انا ما سويت شي غلط انا موظف مبسوط وسوف
- اتزوج على سنه الله ورسوله.....
-لو اقتلك او اموت لن تذهب إليه مرة ثانية وظهرت عليها آثار الإنفعال
- .. ارتفع الصوتهم عقاب ان يقوم فلزمته امه بحلق ثوبه.....وانقلبت
- الى ذئبة شرسة .. واختلط بكائها مع صياحها مع عنفها وغضبها مما افقد الولد
- اتزانه... فجلس لا يدري عن سر تلك الهجمة التي قامت بها أمه..... فتدخلت
- واجلسته وأخذت الطّف الجو بينهما كانت رباب تبكي وأرى ان عيناها
- اخذت تدفق نزفا مختلطاً دما ودموعاًوعقاب ينظر اليها لا يلوي
- على شي...
- ما بك يا امي..؟
- اتركها الآن يا بنيالموضوع كبير... كبير جدا....
- أي موضوع لا بد ان افهمه الآن..... هل يهمني هذا الموضوع؟
- كان من الواجب ان تمر على خالك عبد الجليل وتقول له ذلك فهو
- يعرف القصة ايضا....

- أي قصّة... الموضوع اذا ما هو عادي.... وانا ما اعرفه...
- الموضوع كبير... وسفيان بكري قد اراد بذلك اختبارك وكل الموضوع... هو اختبار...
- هناك كانت رباب تبكي بحرقة وهو جالس معي..
- طيب ليش امي تبكي... هكذا....
- ما أدري.....؟.. أسألها.....
- انت تعرف.....؟
- حتى لو أعرف لن اقول لك..... هي التي ستقول.... أخبريه يا أم عقاب فأبنيك رجل..... ولا بد ان يعرف..... مادام ان الموضوع قد وصل الى هذا الحد.. ومن الافضل ان يعرف منك... خيراً من ان يعرف من شخص آخر..
- انا اعرف من شخص اخر..... وليش امي هي التي تقول لي.... لماذا لا تخبرني انت.....؟..... من يقول لي الخبر.....
- لا..... أمك التي ستقول لك.....
- ثم قام عقاب الى امه..... كانت لا تزال تبكي.....
- ما الامر يا أمي ..؟..... انت تعرفي سفيان بكري...
- لم ترد.....؟
- هل تعرفينه يا أمي أجيبني...؟
- نعم أعرفه..
- اين تعرفيه.....؟
- يا ابني اتركني أرجوك اتركني الآن ..
- يعرف ابوي القصة..؟
- نعم يعرفها.....
- اذا ما الذي بينكم وبين سفيان بكري أخبريني.....
- اخبريه بالقصة يا أم عقاب..... على الأ يطلع على الموضوع احداً ثم نفكر سوياً في حل هذه المشكلة فبدأت تخبره بالقصة...
- قالت رباب لأبنيها عقاب بعد اصراره على ان تخبره... بهذا السر الذي يمنعها ان توافق على زواجه من ابنة سفيان بكري ..:

هذا الرجل هو ابوك الحقيقي الذي تزوجته من قبل ابوك يوسف لكنه كان يسومني انواع العذاب من أجل انني رفضت أن أعطيه حصتي من تركة ابي وهذه البنت التي يعرض عليك الزواج بها هي اختك

مأذا تريدني ان أتذكر منه

بعد ما رفضت أن انفذ له رغباته ...بدأ ينتقم مني بكل طريقة ...يريد بها خلق مشكلة في حياتي أو في حياة اهلي.....
اراد بعرضه لك من الزواج من ابنته ان يتأكد من حقيقتك ربما بعد ان ادرك الشبه الكبير بينك وبينه ... لقد طلقني وأنا حامل بك وعندما طلبت من عبد الجليل ان يخبره انني حامل رفض الاعتراف بك واستمر في المساومة ... ربما كان يرى انني سوف اتنازل له عن كل شيء مقابل ان يقول انك ابنه ...

كنت اقوى من الجرح الذي سببه لي رغم وجعه صبرت وقابلت عناده بصلافة رأي اقوى من ظلمه وقساوته ..
كنت قد فقدت التركيز في حياتي اليومية بالكاد الملم ما اقدر على جمعه من عزيمة أجاهد بها قساوة الوضع النفسي الذي ادخلت فيه فجأة حتى اختلط في نظري الشتاء والصيف تاهت من فمي كل الحروف الرطبة التي تساعدني على النطق ...خرس لساني و كل شيء في جسمي وأحاسيسيحتى انقذني الله بهذا الرجل الطيب الذي عرف مشكلتي عن طريق خالك عبد الجليل ووقف موقف الرجل الشهم الذي لم يكن له مصلحة الا عمل الخير فاستعد ان تكون ابنه امام القانون.... وأنقذني من ابتزاز سفيان الذي تقول عنه انه طيب ..

وبعد ذلك كنت اقوى من الأيام الصعبة التي واجهتني عندما كنت في بطني لكن خوفي كان ينهش قلبي وتزداد حدته كلما تمدد بطني الى الأمام....

كنت احياناً أتمرد على كل ما اراه صعباً... تحول خوفي إلى وحش يلف قلبي وقوة عزيمة تبتلع الجبل تملكني صمت رهيب في كل مراحل حملي الاخيرة.. غير انه صمت ابلغ من الكلام....

عن طريق خالك طاهر توظفت في مستشفى خاص كي انشغل فيه عن همومي التي غدت تطحنني

كادت بصمات صمتي ان تحكم ما احسبه معادلة صعبة.... لا أستطيع ان أضع افتراضياتها والتي أحس انها اصعب من التفكير انها لسعات من الالم تسحبني الى الخوف والمجهول المظلم الذي ينتظر قدومك الى هذه الحياة ..

عزمت على ترك علاج ذلك للزمن وحده... وعليه ان يحلها بمعرفته ...وحتى وان كانت الحلول غير مرضية فأنتي سوف اقنع بها وكنت افكر في ابوك يوسف.... وأقول لماذا فعل ذلك.... وماهو الثمن الذي سيطلبه وقد كان من توقعاتي ان يطلبني للزواج ... وكنت في نفسي موافقة على ذلك فلا هناك أي خيارات متاحة ولا خيارات تقبل القسمة حتى على اثنين افضل من ذلك....

كنت أحس احياناً إنني قد أنهيت المكتوب لي من عمري... وأنني في طريقي الى الرحيل من هذي الدنيا التي لم يعد لي فيها أي أمل للسعادة او لحياة هادئة مثل بقيه الناس..الا انت فقد كنت الأمل الذي أريد أن أبقى من أجله ..

احياناً كنت احسّ بجوع إلى الموت..... إلى ان انهى حياتي في اقرب فرصة... لكن بعد ان تخرج انت الى الدنيا....ولعل الله وحده يتكفل بك وبحياتك ومستقبلك ..

نعم لقد كنت احس انه مضى لي من العمر ما يكفي ولم يعد في املي أي بقعة ضوء أشاهدها عن بعد او أترقب الوصول إليها..... خلاص... لقد أخذت من الحياة ما يكفي...وأصبحت ملامحي منهكة غريبة متعبة وكأنني انظر الى الموت بعيني

تعبت حتى من انتظار الولادة وترقب الطفل الذي سوف يأتي ليجدني غارقة في حزن لا يحتمله عشرة من الرجال الأقوياءعبثت سياط الحياة المتعبة بي وانا لا زلت في مقتبل العمر ارى العالم من حولي يغطيه الوجد والحزن.... لم يعد للعشق وأحاسيس القلب المرهف نبضات تدفعني الى الأمام.....كنت أحس ان الجرح يكويه الجرح الذي يتبعه اجد أني فتاة قد

قتلت ..وان خناجر الغدر لا زالت مغروسة في ظهري.... كنت اكتم أنفاسي
حتى لا اسمع صوت قلبي يصرخ من شدة الألم... هكذا كانت حياتي قبل
ولادتك يا عقاب..

كنت عازمة على التمرد من كل العادات والتقاليد التي تصور المرأة
عار او جريمة تمشي على الارضوالكل ينظر اليها على انها ضعيفة
مغلوبة على أمرها وأقول لنفسي:
ان المرأة قد شرفها الله لها الحق ان تعيش بكرامة واحترام وهي
نصف المجتمع .. والمرأة الشريفة اقوى من بعض الرجال ...
ان العنوسة قد تكون رحمة يحفظ الله بها الفتاة من عبث بعض الرجال
الذين لا يحملون من الرجولة الا ما ينسبهم الى الجنس المذكر مثل سفيان
بكري لكن عنوسة المرأة ليس عاراً فهي تستطيع ان تدرس
وتحصل على اعلى الدرجات العلمية وتنتج وتفتح بيتاً وتنزل الى
التجارة مادام الدين قد كفل لها الحقوق والنظام قد فتح لها مجال العمل
.. ولا داعي ان تبقى العنصر الضعيف في المجتمع... ان المجتمع الان بعد ان
وصلت فيه الفتاة الى اعلى درجات العلم بإمكانها ان لا تبقى الحلقة الأضعف
في المجتمع....

كنت أرى انه بمجرد ان يبدأ الرجل يهدد زوجته بالطلاق فان المودة والرحمة
التي يفترض ان تحكم الحياة الزوجية قد انقطعت ...ان الله سبحانه قد جعل
العصمة في يد الرجل لحكمة..... ربما ان سر ذلك لا يكون ظاهراً في كل
حال لكن اثبتت تجارب الحياة ان الرجل اكثر من المرأة في التحكم في
عواطفه....وقوة تحمله... والمرأة عاطفية اكثر من الرجل..... لذلك قد يكون
تصرفها أسرع وبذلك جعل الله العصمة في يد الرجل....
لقد شعرت من اول يوم كان يهددني فيه سفيان بكري بالطلاق انه لا
يريد إلا المال وأدركت أنني إنسانة مسروقة في نفسي وعواطفني ومالي
وجسدي .. أما الحياة الزوجية السعيدة فأنتني أغرد خارج سربها ...و لا
يصلح سفيان بكري ان يكون شريك حياتي إلى آخر العمرلقد اتخذت في

نفسي قرار الطلاق لكنني تركت لحماقته ان تقرر الزمان كما يريد ..كما
قررت ألا اظهر رغبتني في ذلك فقد يساومني عليه..

كان عندما يدخل الى البيت لانتظر عينيه الا في اساطير وكذلك التعليقات
التي يراها في صدري وهكذا بدء ينزعها واحدة تلو الاخرى بحجة الديون
التي لازال يدفعها من تكاليف زواجنا...حتى غدت يدي وصدري عارية الا
من بعض العقود المقلدة او اساور التي لاتساوي أي مبلغ يمكن ان يطمع
فيه.....

كنت ارى انه بذلك ياكل من اطراف جسدي.. نتفأ مثلاً يفعل النسرة
عندما يتقدم الى ميتة ثم ياكل منها بقوة منقاره نزاعاً ونتفأ ثم يتصدر
عنها ويذهب في الجو بعيداً....

اصبحت امرأة ذابلة كخرقة قد لفظتها الحياة بعد ان غسلتها الهموم
والمناعب حتى كرهتني الطبيعية ولم اعد اصلح للباس او فراش..لقد بليت
حتى من النفس الذي ارده في صدري.
كنت صامته وكان صمتي المأ وكان صمتي يجسد خوفي من
المجهول وكان صمتي تذمرا من حياة وجدت نفسي فيها.....

. وفوق ذلك ...كان يترك لي مصروف البيت ويطلب مني ان اشترى
من السوق ما يلزمني فأنزل الى البقالة وأزاحم مرتاديه من العمال
لأشترى ما يحتاجه المطبخ وبجانب البقالة كانت هناك بوفية اشترى منها
احياناً اذا اشتد بي الجوع ساندوتش آكله ويضيع من معدتي قبل ان
اصل الى البيت من الخوف الذي اشعر به على نفسي في ذلك المشوار.. ولا
يبقى الا سويغات بسيطة امّا هو فقد كان ياكل غالباً خارج
البيت...

أصبحت متأكدة ان التعايش مع هذا الإنسان سيكون إحدى درجات الموت
البطيء الذي يفرضه عليّ.....
كنت انتظر منه كلمة عذبة ..تأتي على مائدة او حتى في غرفة النومفلا
اسمعه... بعد ذلك تحولت الى نرف هائل من الكراهية التي اختزنها له

ولم احتمل المزيد منهاوكرهت البيت عندما يكون موجوداً به والغرفة التي يكون موجودا بها ايضاً...
 . كانت الحياة تسير فاترة بليدة لا يلمع لها بريق ولا املا. ارنو اليه من بعيد وأحاول الوصول اليه....ولا هناك بوارق رجاء في تحسن الحياة العاطفيةلم يكن هناك تطلع الى مستقبل قد يغير نمط الحياة الراكدة المتكررة في كل يومليس هناك أي امل في الراحة والرفاهية التي ارى بعض اقراني ينعمن بها

كنت ارى انني حتى في حالة اللقاء الطبيعي الذي تفرضه الغرائز الجنسية احسّه اغتصاباً لمشاعري وجسدي وحرיתיوان هذه اللقمة التي أكلها في بيته هي الثمن الذي يقدمه لي مقابل ذلك ...انني ارى ان جسدي هو الذي آكل به وأشرب. عند ذلك الرجلالذي رفضته مشاعري واحاسيسي بعد ان مات اغلبها على يده..

اصبحت اخشى ان يدس لي مصيبة في عرضي او يتهمني بتهمة يخرج بها ويعتذر بها من اهليثم يحمل اهلي عواقب العار الذي سيلبسنيه في تلك الفترة بدات افكاري في استجلاب افكار مضادة وتضع حلول لكل الافتراضات التي ارى انني سأكون ضحيتها في المستقبل.... لذلك لم يعد يهمني أي شيء..... بدات في التقصير في واجباتي نحوه فمن يعطي المرأة حقوقها ينتظر منها الواجبات على اكمل وجه.... اما من يبخس الناس اشياهم فلا بد ان يتلقى مثل ذلك..... هذه طبيعة العدلوهذه القوانين التي يجب ان يمشي عليها الكون...

كنت استطيع ان اتحمل أي شيء الا الذهاب الى السوق او البوفية لكنه الجوع اقوى من كل المعادلات ..
 نعم كان مطلب صعبا بالنسبة لفتاة جميلة مثليإلا انه وتحت وطأة الجوع انزل الى البقالة واشتري ما اجده متوفر بتلك الفلوس واعتقد انه اراد بهذه الطريقة أن تعرض لمضايقات المارة او شباب الحارة او تعرض لاي فضيحة قد يسهل بها له بعد ذلك ابتزازيكنت جميله جدا ورغم انني

البس ثياباً رثة عند نزولي الى السوق لكن بعض الكلاب الجائعة ... لا يهتمها
لون اللحمه وكأن سفيان قد رماني طعماً لتلك الكلاب ..

كنت بين خيارين قد وضعتهما امام عيني اما الشرف أو الموت. وحتى تعودت
النزول الى الشارع واصبحت اقوى من بعض الرجال بقلبي وبغزيمتي التي
كنت اتحدى بها كل شي ...

احيانا عندما اعود لا اجد ... وربما انه كان يرافقتي او يتابع خط سيرني
بين البيت والبقالة لا انكر انني اتعرض لبعض المضايقات من بعض
الكلاب البشرية لكنني قد وعيت ما يريده سفيان وكنت رجلاً في ثوب امرأة
وحرصت ان تبقى سمعتي انا واهلي فوق كل شبهة ...

كرهت العودة الى هذا الرجل بعد طلاقه لي كرهني للموت ... ورغم ان
اخوالك جميعاً ... قد حاولوا ان اعود اليه وكلا منهم قد قال لي ان من
السهل جدا ... اقناعه بالرجعة في الطلاق لكنني رفضت ان اربط حياتي
وما بقي من عمري مع هذا الرجل ومع من اراد ان يساومني على حياتي
بالمال .. مهما كانت التضحية ..

.... كنت احس ان حملك في بطني حملاً ثقيلاً لأن والدك رفض ان يعترف بك
كوسيلة ضغط ... من اجل المال فأدرت ظهري له وقبلت التحدي بكل ما
اتوقعه من خسارة ... ورغم انني قد هممت فعلاً أن اسقطك .. ولكن حبي للحياة
والخوف من الله جعلني اتمسك بك فأنا واثقة من انني لم ارتكب حراماً
وأن الحمل ... كان بطريقة شرعية شريفة وكفى

كنت في نفسي مقتنعة تماماً ان الله لن يضيعني فأتممت حملي ..
كنت كلما تحركت في بطني اشعر ان الدرب طويلاً والمجهول القادم اكبر من
عزمي على التحدي لكنني صبرت ...

وسافرت الى امي وهناك شعرت انني في مراحل اكتمال هذا الكائن الذي
يختلج في احشائي وكلما اقترب موعد الولادة كنت كأني ادنو من
الموت

كانت قواي منهكة واعصابي متعبة ولم يبق من انوثتي الا الخوف الذي اتلبسه ... كانت امي تراني في تلك الحاله فترمقني بنظرات تتوزع بين الخوف والشفقة والرعب..

لم اكن اريد ان ارى تلك النظرات منها .. لذلك كنت اقوم عنها الى الغرفة الاخرى او أي مكان اخر بالبيت فانا لا احتمل تلك النظرات التي احسها تحرقني.. وأنا لم ارتكب خطأ لكنني أريد أن اخرج من الجحيم ..

عندما وصلت الى المستشفى وعلى السرير الابيض وجدت صورة من عقد الزواج لرجل وامرأة لا اعرفهما لكنني قد افهمت ان اسمي هنا سيكون سلوى عبد القادر وأن زوجي اسمه يوسف رضوان وكفى.... اعرف هذا الرجل الذي سوف يكون المولود تابع لإسمه... جلست معه في بيت عبد الجليل اكثر من مرة وأرتحت لكلامه. بدأ حب ابوك يوسف يداعب مشاعري وكنت احس في كلامه معي في بيت خالك انه انسان يختلف كثيراً عن سفيان بكري ... وكنت في نفسي اتمنى ان يكون هو النصيب القادم ...

كنت انظر إلى الساعة الملتصقة في جدار الغرفة خافقة الفؤاد انتظر موعد العملية او الولادة (كنت قد ابلغت من قبل الدكتور ان الولادة قد تكون بعملية قيصرية) ...وعند ذلك هممت ان البس ملابسي واهرب من المستشفى

لكنني رجعت الى نفسي وقلت أنني لست من اولئك اللاتي سرق عفافهن اللصوص والمجرمون ... ولم اك بغيا ... بل هذا الذي يختلج في بطني هو طفل شرعي أتى بمعاشرة موثقة بعقد من الله وميثاق ... ولا يمكن أن اسأويه بجنين آخر (أي نتيجة الخطيئة والفحش الذي خرج عن نطاق الشرع والقانون الإنساني إلى قانون البهائم والدناءة القذرة) فأخاف منه لذلك قررت أن يبقى هذا الطفل أما والده فإن له أن يختار بين الاعتراف والإنكار وبين الحقيقة والجريمة وان كنت اعلم انه سيختار الثانية من هذه الخيارات..

تذكرت والدي عندما كنت في الولادة. وأخذت اناديه ..كنت اريده ان يقف في وجه الزمان معيفي تلك اللحظة كنت انادي باسمه....وأنا اعلم ان لا يسمعني لكني كنت كمن يرى ان هناك خيالاً. في آخر الدرب الطويلربما يكون إنسان يرد علي.. وقد يكون والدي لم يمت بعد ...وقد يرد علي او يأتي لنجدي..

كانت عائلات المرضى فرحين بالمواليد الجدد من حولي ..إلا انت فقد كنت انتظرك بخوف لايعلمه الا الله ... اللللللله هذا المولود سيكون وحيد امه التي قد انهلكها الجوع الى الحياة والجوع ان تكون مثل إحداهن وكانت الولادة ..

وكنت انظر الى المدى البعيد والمسافات اللانهائية من حياتي انا وانت وكنت اخشى انني سأواجه عطشا وضياءاً غير انه مهما كان.... اهون من المستنقع الذي كنت فيه ...

كنت كلما نظرت اليك اقول لنفسي ...أن هذا الولد فعلا لا ينبغي ان ينتسب الى سفيان بكري(وقفت عن الكلام وطفرت من عينيها وهي تتذكر تلك المأساة دمعة أنحدرت من محجر عيناها ببطء.) وقالت :

(بمرارة تلك الفترة التي عشتها . اشعر انني اجتر تلك المرارة الآن

وانني اجد طعامها يعود الى حلقي...)

..نشف كل شي في حياتي حتى العواطف ومقومات الانوثة التي اتفاخر بهاكنت كبقايا امرأة معزولة مغسولة من العواطف لم يبق لها من الامل الا

ما يسوقه القدر ...بدأت افكر في الحياة و بدأت افكر في الزواجلكنني اشعر ان كلمة مطلقة لصقت بي .. كنت غير متأكدة من مشاعر ابوك يوسف

نحوي فقد يكون مجرد عمل خيري يسديه الينا ثم ينصرف عنا ..

كنت افكر..... من يتزوجني ؟.....وعلى من سيكون الدور ليعبث

بكياني هذا الذي احس انه قد انكسر جزء منه ... ثم الله يعلم من سيختارني

..اهو كهل يريدني ان امرضه ام يريدني ان اربي اطفاله ام معنوها ...الله

اعلمهكذا حياة النساء ...وليس لهن الاختيار..... انما الاختيار للرجل

....هكذا قدرهن ..

ولله في ذلك حكمة .. الرجال هم الذين يختارون.....وحتى لو كانوا اغبياء أو معتوهين أو حتى معوقين..... فألكل يخطب ويتزوجأما النساء..... لا بد ان تنتظر المرأة في البيت حتى يأتي من يطلبها أو يريد لها أن تكون كما يريد هو .. وليس لها من الأمر الا النزر اليسير .. وانما غالبا ما تقبل بأدنى مستوى من الشروط وادنى ما تتطلع اليه ...

وكم من إمراة تزوجت مرغمة من اجل المال.... وكم اخرى قد ساققتها الأقدار الى لئيم سرق حياتها وعبث بأيام صباها دون رحمة أو مروءة .. او حتى مراعاة لإدنى معاني الانسانية. ثم تركها ...

وكم اخرى تزوجت من اجل ان تكسر صفة العنوسة عنها ..ثم تمنى انها بقيت بدون زواجوكم امرأة قد ارتبطت بشخص لا تقبل الحياة معه ..

انما الاقدار جعلتها تنخلع من جلدها وجسمها وتفكيرها وترتبط مع شخص لا تريد أن تسمع صوته او تحس بأنفاسه تقترب من جسمها وكم وكم ...

وعندما علمت انك ذكر ا حمدت الله كثيرافالرجل دائما اقوى على مصاعب الحياة من المرأة .. بعد ذلك كنت في عجلة من امري الى ان اخرج من المستشفى الى أي مكان واحملك واسير بك في الشوارع واغمسك في البحر ...لتذوق ملح البحر فقد تكون حياتك مثل ماء البحر . ما لحة عليك ان تتعود على ذلكازداد خوفي من المجهوللكنني اخفيت كربى عن امي.... نعم كربىفأنا احس انني قد وضعت هذا الكرب من بطني لاضعه بين يدي وعلى أن احمله حتى يكبر... لكن نار القهر باقية تلسع كل جزء من جسمي...

عطشت الى ان ارى سفيان بكري لكي ابصق في وجههعطشت لان اهرب من الضياع الذي وجدت نفسي غارقة فيه ... وكان فرج الله قريب لقد تقدم لي هذا الرجل الطيب وأخرجني في فترة قياسية من المي وقهري والسجن النفسي الذي كنت اعيش فيه ..

أذكر إن أمي قالت لي وأنا لا زلت في فترة النفاس.....:

- إن الرجل الذي سجل عقاب باسمه يريد مقابلتك ويريدك زوجة له..

- من قال لك هذا ؟

- عبد الجليل وأختك ايمان ...
- هل تعرفينه يا امي؟
- نعم اعرفهصديق عبد الجليل وقد أخبرني بذلك عبد الجليل ويقول لقد اعطى موافقته ولم يبق إلا موافقتك انت ...
- اني خائفة يا أمي
- لا تخافيانا اعرفه وعلى مسؤوليتي ...
- اطلبي منه ان يأتي اليـنا وأنا الذي سأقرر بعد ان اراه.. وأتحدث معه..
- وهو كذلكنريدك انت في هذه المرة ان تقرري من أجل أن تكوني مسئولة عن أي قرار تتخذه ...
- اطمئني يا أمي أنا مسئولة عن قرارى الذي أتخذته بطلاقي من سفيان بكري (تريدين ان تقولي ذلك..... اليس كذلك)
- لاانا لم اقل ذلك ..
- وحتى لو قلتيهانا فعلا مسئولة عن هذا القرار الذي اتخذه
- إذا توكلتي على الله ..وانا سأقول ذلك لعبد الجليل ويأتي معه ..
- وطاهر ايضا ...
- لماذا طاهر ؟...عبد الجليل وعمك قاسم يكفي..
- لا بد من وجود طاهر وكفى لن اتزوج من دون حضور طاهر
- انا اقول له ذلك لكن قد لا يتمكن من الحضور ..
- اذا نأخذ موافقته على ذلك ..
- خلاص انا انقل هذا الكلام لعبد الجليل ...
- ياالله ...يكتب الله ما فيه الخير
- لكن في الاسبوع التالي لم يحضر الا يوسف وعبد الجليل
- جاء يوسف لمقابلتنا و الاتفاق معنا على الزواج وترتيبات الحياة في المستقبل . كأن شاباً وسيماً ..لا يزال في مقتبل العمر لم يصل الى الثلاثين من عمره....رأيت في وجهه سمات الأدب والإحترام فجلسنا واتفقنا وتزوجته وكان نعم الزوج والصديق والحبيب الذي قدم لي السعادة في راحتيه...

هذه قصتي مع سفيان بكري الذي تبرأ منك ثم هو يريدك ان تخدمه الآن... لقد كان خوفي ان توصلك الأقدار اليه لكن حذري لم ينفعني... لقد اراد بذاك اختبارنا جميعاً....فإن وافقنا فمعنى ذلك انك لست الولد الذي يبحث عنه....وأن رفضنا فمعنى ذلك ان هذا اعتراف انك ابنه الذي رفض الاعتراف بك عندما كنت جنيئاً..... هذا هو الامر الذي نخفيه عنك وعن الناس كلها ولعله يبقى في صدرك سرّاً حتى تموت انت ايضاً

.. ثم اتفقنا جميعاً ان يرجع عقاب الى خاله عبد الجليل وطاهر وان يخبرهم بالقصة وعليه ان يعود الى سفيان بكري ويخبره ان والده ووالدته غير موافقين على زواجه وانهم قد خطبوا له من القرية وعندها سيرون كيف تكون ردة فعله حيال هذا.....وبعد ذلك يتم الاتفاق على خطة جديدة.

منذ ان عاد عقاب الى سفيان بكري واخبره برفض والده ووالدته الزواج من ابنة سفيان. اخذ الموضوع بذكاء فقال....:

- ليس هناك أي مشكلة اذا كنت انت تريد ان ازوجك ابنتي... زوجتك اياها بدون حضور اهلك.....انت الشخص المهم عندي ووالدك ووالدتك سوف اتعرف عليهم فيما بعد.

- لا استطيع ان اتزوج دون موافقتهم.....

في تلك الفترة تاكد سفيان بكري ان رفض والد عقاب ووالدته الحضور الموافقه على ذلك العرض الذي قدمه لعقاب هو اعتراف ان هذا الولد هو ولده الذي انكره سابقاً....

وان هذا الرفض من اجل ان هذه البنت هي اخته لكنه يريد ان يعرف ما اذا كان عقاب يعلم بالموضوع ام لايعرفه....وكان يعد عدته على ان يغري عقاب بالمال ثم يطلب منه احضار والده ووالدته مرة اخرى.... بعد ذلك طلب عقاب اجازة لمدة شهر للسفر خارج المملكة متعذراً بالازمة النفسية التي سببها والداه له ... وعند ذلك قدم له سفيان مبلغاً من المال كي يصرف منه على نفسه اثناء الاجازة وقام عقاب بتسليم مفاتيح السيارة الى مدير المكتب كما سلمه كافة الاوراق المتعلقة بالمكتب.....لكن المفاجأة انه في

الاسبوع التالي تسلم سفيان بكري ورقة من عقاب قدم فيها استقالته من العمل....

- بعد ان رأت زوجة سفيان تقرب زوجها كثيرا من هذا الغلام الذي يأتي به كثيرا الى البيت. (عقاب) اخذتها الحيرة من امره فسألته عن هذا الأمر ..:
- اراك تكرم هذا الغلام ولو كان عندنا بنت لظننت انك ستزوجه اياها..
 - نعم.. هكذا افكر..
 - تقصد كوثر ؟
 - نعم كوثر ..
 - انها اكبر منه.
 - ...اتركي هذا الامر حتى اتأكد من شي في بالي...
 - في ماذا تفكر ..؟
 - اتركيني الآن ولا بد ما اخبرك ..
 - توكل على الله ..

كانت البنت كوثر قريبة جدا من ابوها سفيان بكري وكان ينتابه شعور الحزن والشفقة عليها.... فكان دائما يجلس معها ويؤانسها ويفضي اليها باسرارته...
لكن سر هذا الغلام لم يبيح به لاحد حتى الان... وتمر الايام وعندما قدم عقاب استقالته كانت صدمته كبيرة.. ارتفع ضغطه وتعرض لجلطة خفيفة ادخل على اثرها المستشفى لكنه تعافى منها سريعا وعاد الى البيت..... ثم تعرض لجلطة ثانية وخرج منها..

بعد ذلك خاف على نفسه من تلك الجلطات اراد ان يفصح لابنته كوثر سر هذا الولد وعن امه... وعليها ان تحتفظ بهذا السر عن امها واختها خلال هذه الفترة. على الأقل حتى يتأكد من ما يدور براسه حيال هذا الغلام..... واخبرها بالموضوع كاملا واكد لها انه بموجب صورة البطاقة التي احضرها عقاب للمكتب وكذلك تاكده من تاريخ طلاق رباب فان ذلك الشاب هو ابنه الذي انكره عندما كان في بطن امه..... بينما يقول عبد الجليل خاله.... انه تم اسقاط الجنين في ذلك الوقت.... وأخبرها ان مشكلته مع ام الولد انها رفضت ان تمد يدها له كما قال... عندما كان محتاجاً اليها وهذه المشكلة جعلته يكرهها ويتصرف بإنكاره للجنين الذي تحمله.....

وطلب من كوثر ان تساعد في التفكير في حل هذه المشكلة وكذلك التفكير في التكفير عن الذنب الذي اقترفه تجاه هذا الولد وامه... ان ثبت ان هذا الولد هو ابنه...
واخبرها انه قد ذهب الى خال الولد طاهر وأرسله الى ام عقاب ليطلب منها السماح فرفضت ثم انه بعد حادثة الجلطة الثانية يرى ان كوثر لو اصابه القدر ومات في يوم من الايام فليس لها احد الا الله... ثم هذا الولد ان صحت الرواية انه اخوها فهو الذي سيجملها ويرعاها وتعيش في كنفه..
ادركت كوثر سر الاهتمام بعقاب وعرفت من والدها انه اخوها وان ابوها قد ندم.... وان هذه الجلطة التي اصيب بها سببها شعور بالذنب نحو

- الولد وامه..... لكنها ماذا تفعل وهي في حكم المقعدة فعادت والدها الكلام في هذا الموضوع في اليوم التالي .:
- هل تحس بالذنب تجاه هذا الولد وامه بعد هذه الفترة.
 - اذا تاكد ان الجنين لم يتم اسقاطه..... كما قال لي عبد الجليل اخو رباب. فهو اخوك ..
 - طالما انت انكرت الغلام فلا عليك سواءً اسقط ام ولد صحيحا.
 - لكنه ولدي. وانا اكثر الناس معرفة برباب لقد كانت زوجة محترمة... انا المذنب... انا الذي اخطأت في حقها... الشيطان كان يسوقني الى الضلال فاسرفت في حق المسكينة. وما هذه المصائب في نظري الا انتقام من الله ..
 - بإمكانك ان تصلح غلطتك الان.
 - كنت انوي ذلك من خلال عقاب اما الان فقد ذهب عقاب وتركني.
 - اذا كان اخي حقا.... نبحث عنه حتى نجده... ثم تصلح ما افسدته.
 - لا اعتقد انه يرضى... او بالاصح ترضى امه... الذي عملته معها كبير... وكبير جدا.
 - انت حاول.
 - حاولت.
 - حاول بدون طريقة الابتزاز التي كنت تنويها... حاول الاعتراف وطلب الصفح.
 - سيكون موقعي ضعيفا.
 - مهما كان ... هذا اخي..... هذا ولدك... لقد اسأت الية والى امه فأن الأوان ان تعترف بالحق وتقول اخطأت.... ثم اطلب السماح من امه حتى ترضى.... انت لديك ثروة واعط منها اخي ما يريد.... مقابل ان يرجع الينا..... وترضى امه... حتى لو تموت غدا تكون قد ابرأت ذمتك... هذا هو الصحيح وهذا المفروض ان يكون... فانا اخاف عليك من كثرة الوسواس والندم.
 - بل من خوفي عليك انت.
 - انا لي رب العالمين .. واعتقد ان كل المصائب التي تعرضنا لها من أسباب ما فعلته انت يا أبي..... فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله

- حجاب... لكن بإمكاننا ان نتدارك الأمر مهما كلفنا ذلك من ثمن... لقد وقعت يا أبي في جرم كبير... وكان الله في عون تلك المسكينة التي ألبستها ثوب الخطيئة وهي منه براء... الله... ما أقساك يا أبي... لكن... قد انتقم الله منك... بل منا جميعا..
- لا تزيدني هما.
 - بل اريد ان أخرجك من الهم..... علينا أن نتصرف بسرعة... وأرجو ان تترك لي معالجة هذا الموضوع بنفسني فقط اعطني تلفون احد اخوة رباب وانا التي ساتصرف..
 - كيف؟
 - انا سأذهب اليهم جميعا حتى ينتهي الأمر.. او اغلب عنه وعند ذلك أكون قد عذرت نفسي.
 - انا ما عندي مانع.
 - شوف... سأعطيها هي واخي من أموالك حتى يرضوا..
 - خذي ما شئت.
 - اذا اعطني عنوان احدهم..
 - انا أعطيك عنوان طاهر.. فهم لن يتصرفوا بدون موافقته.. على أي شيء.
 - وهو كذلك..
 - وفي اليوم التالي أخذت خادماتها والسائق وذهبا إلى مكتب طاهر.. بعد ان وصف لها أبوها مكتبه..
 - عند باب المكتب في صباح اليوم التالي كانت امرأة مقعدة قد فقدت قدمها وخلفها خادماتها تسوق عربيتها وخلفها سائق كانوا جميعا في انتظار طاهر عند باب مكتبه.... عندما راهم.. اخرج من جيبه نقودا فناولها المرأة التي على الكرسي المتحرك.
 - شكرا انا لا اريد فلوساً.
 - ماذا تريدان اذا..؟
 - أريد أن أكلمك في موضوع وانصرف.
 - أي موضوع.....

- لا اله الا الله.... على الباب!.....أدخلنا المكتب ثم اسمع مني...
- تفضلوا...ثم أدخلهم الى مكتبه.فقالت بصوت مكسور..
- انا كوثر ابنة سفيان بكري...كان والدي متزوج أختك رباب وقد ظلمها وقصر في حقها...لكن الإنسان يخطي واذا اعترف بذنبه فالناس الطيبين يقبلون العذر ..وقد انتقم الله من ابي فماتوا إخوتي جميعا ولم يبق سواي وأنا كما ترى.. واخت معي متزوجة من رجل يسومها سوء العذاب ليلاً ونهاراً..... واعتقد ان هذا بسبب ما فعله أبي بأختك... وأبي الآن قد تعرض لجلطة مرتين وأنا أخاف عليه من الثالثة... وقد ندم اشد الندم واتى إليك فلم يجد اي تجاوب منك وأنا الان اعتبرني دخيلة في بيتك.....واعتبرني إحدى بناتك.... فأنا أسالك بالله وحده...ان كنت تعلم ان عقاب أخي تساعدني حتى يرجع إلينا..... فنحن كما ترى قد أنتقم الله له ولا مه منا...وان كنت تعلم انه ليس أخي فلعلني الا اطرده سرا... وأنت الرجل الذي اخترتك ملاذا لي بعد الله...ليساعدني..فأبي مريض ويمكن ان تكمل عليه الجلطة الثالثة.... فاين اذهبان كان الشاب أخي..فليأخذ ما يشاء ولتأخذ امه ماتشاء من اجل ان يسامحوا ابيفقد اكله الندم والشعور بالذنب الذي ارتكبه في حقها...ولهذا جئت إليك والسلام.....
- (لم يرد...برهة وكان ينظر الى الارض تارة ثم الى وجه الفتاة وحالتها مرة أخرى).....لا اله الا الله...يابنتي..مالكم عندنا شيء....
-انفجرت باكية...ولم ترد ايضاً. ثم قالت بصوت مكسور مبلولاً بالدموع :.....الم يشفع لي عندك هذا الوضع الذي رأيتني فيه ..؟
- لم يرحمنا أبوك عندما أنكر ابنه ولولا اننا ما نعرف رباب ونعرف شرفها وأدبها لقتلناها هي وجنينها قبل أن يولد ..لقد الحق بها العار والفاحشة .. لكن الله كان اكبر من أبوك ومن فحشه وظلمه ..
- أبي الآن في حالة لا يحسد عليها وأخواني ماتوا انتقاما من الله في حقه وأنا كما ترىألا يكفيكم ذلك ؟أليس الله بعزيز ذو انتقام ؟
- بلى سبحانه..... لكن الجرم كبير ...

- ليس اكبر من عفوا الله ..
- لاحول ولا قوة إلا بالله ٠٠ ماالذي حذف بك إلي الآن...؟
- بل ساقني رب العالمينلكي أصلح ما أفسده أبي ..
- ما الذي تريدن؟
- ما الذي تريد انت أن أضعه بين يديكانت وأخوتك وعقاب وأمه ٠٠ وانا أنفذه حرفيا ٠٠ انا الآن قد جئت أطلبكم السماح أولاً ثم موضوع عقاب هذا أيضاً أضعه بين يديك فيما بعد ... احكم بما تريد وأنا انفذه .
- ألا ترحم فتاة ذلها الدهر وجاءت لك تطلب السماح لها ولأبيها منك ؟
- انك في نظري كبيبيبييرولعلك تكون أكرم من ابي ..
- حسبني الله ونعم الوكيل
-أرخت رأسها وهي تبكي
- لكن الموضوع ليس في يدي ...
- أنت تدلني على الطريق ولعل الله لا يحرمك من الأجر أيضاً ..
- ماذا تريدن بالضبط ...؟
- تدلني على مكان أختك ..وأنا اذهب إليها حتى لو كانت في آخر الدنيا ..
- إنها بعيدة في بلجرشي...
- في أي مكان اكتب لي العنوان ٠٠ وانا اذهب إليها ٠٠ لكن ٠٠
- لكن ماذا
- هل قبلت طلبي أنت أولاً ...
- أنا مالي دخل
- بل رضاك أولاً وإلالن اذهب إلى أي مكان آخر ٠ انك إن أوصدت الباب في وجهي فلن أحسن أن اخرج من عندك إلى جهة أخرى ...
- من أجلك أنت ٠٠ انا سامحت ...
- إنني واثقة أن الدنيا لازالت بخير ٠٠ فاكتف أنت بعقاب الله لنا ٠٠ والله لقد أثركم الله علينا وان كنا لخاطئين ٠٠٠ فقل لي مثلما قال يوسف لإخوانه ...
- (ثم انفجرت باكيه أيضاً ٠٠) كانت الخادمة تهم إن تحرك الكرسي فاومأت إليها إن تتركه ٠٠ فتركته)..

- توكلي على الله أنا سامحت ...
- هذا الكلام من قلبك أم من لسانك ؟..
- من قلبي ...
- إذا توعدني بالمساعدة...
- ٠٠٠ سكت ٠٠٠
- توكل على الله ٠٠ الله سبحانه غفور رحيم ..وأبي أخطاء لكنه ندم ونحن
جنبنا لرضاكم وقد جاء إليك معترفا بذنبه ..
- توكلي على الله ..
- إذا توعدني بالمساعدة ...
- أو عدك بالمساعدة..
- بيبض الله وجهك ٠٠ إذا أعطني عنوان أختك...
- بعيد عليك المشوار.....
- ليس بعيداأن الجرم الذي ارتكبه أبي يحتاج إلى تعب شديد ..ويا ليت
تعبي يجيب فائدة ..
- توكلي على الله ٠٠ ثم استأذنت أن تقبل رأسه ويده ٠٠ فرفض لكنها
أصرت على أن تقبل كفهوقالت أنت خال عقاب ٠٠ فانا أخت عقاب
واحسبني ابنه أختك أيضاً...ثم ذرفت دمعة من عينها على كفه كانت
حرية أن تستجلب من عينه دمعة أخرى...
- ثم أعطاها العنوان فانصرفت ...
- وعادت إلى والدها وأخبرته بنتيجة تلك الزيارة التي قامت بها إلى مكتب
طاهر ثم استأذنته في الذهاب إلى بلجرشي ..
- الطريق صعبة والمكان بعيد ...
- لن يمنعني شيءفالمهمة صعبة أيضاً ولعل الله أن يوفقني ٠٠ انت
ادع لي وخلاص ٠٠ ربما يكون الله أراد بي خيراً ...
- ومتى ستذهبين ٠٠ غدا في الصباح بإذن الله ..
- توكلي على الله ٠٠ آجي معك ٠٠
- لا ٠٠ لا تجي ..
- أنا سأجلس في السيارة
- لاتجي وربما تأخر ٠ لكنني سوف اتصل بك إذا تأخرت ..

- توكلني على الله ..

كان الوقت صيفا والشمس قد أفردت أشعتها على الأرض والحركة تدب في طرقات القرية وحول المنازل وكانت رباب جالسة في فناء المنزل .. مع طفلة صغيرة أمام تنور تنبعث منه أعمدة الدخان وفجأة وقفت سيارة صالون في فناء المنزل ... وصلت كوثر بعد أن سألت كل من وجدته في طرقات القرية عن المرأة التي أتت من أجلها .. لم يكن في السيارة سوى السائق والخادمة وكوثر .. فانزلاها من السيارة وأجلساها على الكرسي المتحرك .. كانت رباب تنظر إليهم ولا تدري ما الخبر .. ثم سألتها كوثر .. أنت رباب ..؟

- نعم أنا رباب .. من أنت ..؟
- أنا ضيفة عندك .. الا تحبين الضيف ...؟
- زوجي ليس موجود هنا ..
- أنا فتاة مقعدة ألا ترين ...؟
- بلى لكن صاحب البيت غير موجود ...
- اسمع أن أهل القرى يحبون الضيوف وأنا ضيفتك أنت ... ولا أريد زوجك.

اثناء ذلك خرجت أمي وكذلك سلوى .. وكان النقاش يدور بين كوثر ورباب ...

- تفضلي حياك الله قالت ذلك أمي ...
- اجلس في السيارة قالت كوثر للسائق أما الخادمة فقد طلبت منها أن تسوق عربيتها حتى دخلوا جميعا إلى المجلس عند أمي ..
- إن جو القرية جميل جدا ...
- في الصيف فقط قالت ذلك سلوى ..
- هذه الخضرة على سفوح الجبال تعطي للنفس راحة نفسية أكثر من المدن والحياة هنا أسهل والناس هنا أطيب أيضا ...
- حياك الله يا بنتي .. ماذا تريدان ..؟
- أريد الكلام مع عمتي رباب لوحدها ...
- حياك الله ..

- إن سمحت لي ..
- ماذا تريدن منها ..؟
- أريدها في أمر خاص وقد جئت من جدة من أجلها .. إذا سمحت لي
- إذا اخرج أنا وسلوى .. (قالت ذلك أمي)
- إذا قبلت عمتي رباب ..
- كانت رباب تسمع منها عمتي رباب وقد داخلها الشك عن الموضوع الذي تريد التحدث معها فيه ..
- خرجت أمي وكذلك سلوى ولم يبق سوى كوثر ورباب والخادمة ثم أمرت الخادمة أن تتركها وتخرج أيضا .. ثم قالت لرباب
- اقربي مني يا عمتي ..
- أنا من فين جيت عمتك ؟ (كانت الرهبة والخوف تحيط برباب من كل جهة).
- .. كانت على أكتاف كوثر عمامة بيضاء فسحبتهما ثم القتها بين يدي رباب وهي تقول .. أنا عند الله ثم عندك ... لا ترديني خائبة ..
- خائبة في ماذا .. ماذا عندك .. أخبريني ..؟
- أرجوا أن يتسع صدرك لي وأنا سأخبرك فلم أتي إليك إلا وأنا أريد أن أخبرك .. فإعديني أن تسمعي كلامي كاملا ثم بعد ذلك أنت وما تحكمين .
- هات ما عندك ..
- كنا سبعة أخوة أربعة أولاد وثلاث بنات نعيش في كنف والدي وهو ميسور الحال وكنت أكبرهم وبعد أن بلغت سن الزواج تزوجت من رجل يكبرني بحوالي عشر سنوات لكن زواجنا لم يدم طويلا فتعرضنا لحادث سيارة وتوفي هو وأنا كما ترين قد قطعت قدمي وأعيش على هذه الحالة التي احمد الله عليها .. ثم بكت ..
- كانت تكلمها وتبكي .. ورباب لا تعرف أي شيء حتى الآن ..
- بعد ذلك صدمت سيارة أخي فاروق أمام دكان أبي فمات ثم ماتت أختي الصغرى غرقا في البحر عندما ذهبنا للنزهة فلم نعد بها من هناك إلا جنازة
- بعد ذلك مات اثنين من أخوتي بمرض لا نعرفه يقولون عنه انه الضنك وماتا في أسبوع واحد وبقيت أنا وأختي سلمى وأخي عمر فتزوجت أختي

من رجل من اقاربنا لكنه لئيم وهي معه صابرة والله يكون في عونها
 .. ثم خطف القدر أخي عمر .. في حادث سير على طريق المدينة .. اما
 أبي فقد أصيب بجلطة في القلب مرتين وحالته من سيئ إلى اسوء ووالدتي
 أنهكها موت إختوتي ولم تعد إلا مثل شبح يمشي في البيت بدون قلب أو عقل
 وحالتنا تشكي إلى الله وحده ..

- أنت .. مين؟

- لا تزعلي مني يا عمتي ...

أنا أخت عقاب أنا كوثر سفيان كوثر سفيان "سفيان بكري "

- قومي اخرجي .. انقلعي من هنا قبل أن أكمل عليك ... يا الله ...

ثم قامت من امامها مثل المجنونة ..

- قللي ماشئت فانا جبئت هنا أقول لك .. ان الله قد انتقم لك منا

جميعاً ولعلني أخبرتك بانتقام الله لك قبل أن تعرفي من أنا .. فاكثفي

بعقاب الله يابنت الحلال .. وارحمي حالتي التي تريني بها .. انا الآن

جبئت اطلب منك السماح لأبي ... وخذي ماشئت .. لقد أحس بالذنب

وشعر بالفاجعة والندم يخرم قلبه وعقله وأنت ... الله قد عوضك خير

فارحمينا جميعاً .. وسامحيه وخذي ماشئت ..

- أقول لك اطلعي برا .. (ثم قامت وخرجت هي من البيت وتركتها) .. ثم

عادت إليها وقالت اسمعي ...

اياك أن يسمع أحدا من أهل البيت بهذا الكلام والله إنني لأذبحك ..

... سمعتي ...؟ (وغدت مثل المجنونة لا تدري الى اين تتجه من البيت

تصل الى الباب ثم تعود) ..

- نعم سمعت لكن اجلسي نتفاهم ..

- نتفاهم على ايش ...

- اسمعي كلامي إلى الأخير ثم أنت وما تقرريره ...

- لا اسمعي أنت ... تذهبي من هنا فوراً وأنا في نهاية الأسبوع سوف

انزل إلى جدة وإذا كان لديك أي موضوع تكلميني فيه هناك أما

هنا فلا أريد أن اسمع كلمة واحدة وهاتان المرأتان بعد أن يدخلتا

اخبريهما أن لدي في جدة بيت شعبي وانك أتيت إلى هنا لتشتريه مني ...

- توعديني انك تساعدينني بعد ذلك ...

- أوعدك .. لكن الآن اخرجني واذهبي من البيت ولا احد يدري عن الموضوع حتى نصل إلى جدة وهناك نتفاهم ...
- أين تريدني أقابلك في جدة ..؟
- في شقتي في حي الصفاء..
- أعطيني إذا تلفونك وإذا لم تذهبي إلى جدة .. فاخبريني وأنا اعود الى هنا مرة اخرى ..
- الا هذه .. لا تجي الى هنا مرة اخرى ..
- أعطيني رقم تلفونك وخذي رقم تلفوني ...
- وهو كذلك...
- الآن اخرجني من هنا قبل أن يصل زوجي أو والده أو حتى لا احد يدري عن الموضوع ...
- وهو كذلك ...
- ثم أخذت رقم تلفونها وأعطتها أيضا رقمها وساعدتها بالعربية حتى خرجت من البيت ...
- وفي الفناء أخبرت أمي وسلوى أن الموضوع يتعلق ببيت شعبي تريد أن تشتريه من رباب ..
- ثم ركبت سيارتها وانصرفت..(هكذا كانت المقابلة كما سمعتها من سلوى ورباب بعد ذلك)..
- في اليوم الثاني ذهبت كوثر الى طاهر واخبرته بنتيجته سفرها الى قرية الحفياء وطلبت منه المساعدة ..
- وفي نهاية الاسبوع كان الجميع على مائدة العشاء في بيت طاهر ليتدارسوا الموضوع من كامل جوانبه .ورغم الاعتراضات التي كانت تصدرها رباب الا ان خوفها من عودة كوثر الى قرية الحفياء والتي تحسب لها الف حساب جعلتها تقبل بما تم الاتفاق عليه ...

كان طاهر هو مركز الأمان للجميع وقد كانت زيارة كوثر له في مكتبة لها اثر كبير بعد ان رأى من حالتها الصحية والنفسية الشي الكثير... واتفق الجميع على ان تحضر كوثر الى رباب وعقاب اولا...وقد كان طاهر يعلم انها اذا اصغت الى كوثر فمهما كانت مصيبتها وقساوة قلبها فلا بد ان يرق قلبها لتلك الفتاة ...

اخذت كوثر موعد مع رباب وذهبت اليها ..

جاءت بنفس الطاقم الذي ذهبت به الى قرية الحفياء ببلجرشي .. هي وخادمتها والسائق ..

عندما طرقت الباب كان عقاب هو الذي فتح الباب ثم اصعدها في المصعد مع خادمتها الى شقة والدته .. في نفس الوقت كنت انا ورباب في انتظارها بالمجلس

منذ ان دخلت كنا جميعاً نرحب بها وننظر اليها ...كانت جميلة لكن حالتها الصحية ..تجبر الحجر القاسي ان يلين ...ساد الصمت قليلاً ..

كانت تنظر الى عقاب وتذرف من عينيها دموع تتساقط وهي ساكنة ... كانت المفاجأة الكبرى عندما قامت اليها رباب واخذت تمسح تلك الدموع من خدود الفتاةثم بدأت كوثر الحديث...

كنت قد جيتكم القرية ولكنني لم اجد منكم افادة شافية انا اريد ان اعرفاولا وقبل كل شي ..هل عقاب اخي... ان كان اخي .. فلن يمنعني عنه اهل الأرض جميعاً.....

لا اريد شيئاًاريد اخي ان يقول لي انت اختيثم اريد ان تغفروا لي ما فعله ابي بك يا عمتي وبأخيقديكون ابي ظالم أو قاسي أو اكثر من ذلكلكنني انا التي جنيت ما زرعه ابي ... نحن نخطي جميعا ولكن العفو من شيم الكرام ولعلكم اكرم مني ومن ابي ولعلكم تعفون عن ما أساء به اليكم .ولكم الاجر والثواب من اللهثم سكنت ...

وأخذت تمسح دموعها بمنديل في يديهاثم سكنت

- يا ابنتي ... هذا عقاب قد تبرأ منه ابوك قبل ان يولدآه لو تدرين عن الجرح الذي سببه ابوك ... أريدك تعرفين ما سببه ابوك لي من

- اذى .. قد اراد قتلي انا وعقاب لقد رماني بالفاحشة ولولا ان الله سبحانه سخر لنا هذا الرجل الذي كانت صداقته من ابن عمي هي التي انقذتني انا وجنيتني الذي في بطني لكنت ربما تعرضت للقتل أو الانتحار فمن اين يا ابنتي تريدني ان اسامح ... أنها حياتي ... لقد قتلني ابوك انا وابني قبل أن يولد ... كيف تريدني ان انسى ذلك الجرم الذي رماني به
- لازال وخز الألم يحفر في عيني وفي قلبي وفي كل بقعة من جسدي .. من تلك الفاحشة التي رماني بها ... ولولا ان اخوتي يعرفون الموضوع ويعلمون بنزاهتي وشرفي لقتلوني ... فمن اين يأتي السماح ..
- هذا الموضوع اعرفه تماما وأنت صادقة فيما قلت لكن الله قد انتقم لك مني ومن ابي ومن اخوتي اللذين تخطفتهم الاقدار وهذا يكفيك لقد انتقم الله لك
 - هل يعلم ابوك عن مجيئك الى هنا (قلت ذلك) ..؟
 - نعم وهو ايضا نادم أشد الندم ويريد العفو والسماح من ام عقاب وقد ذهب الى عمي طاهر وطرده والذي تطلبونه من ابي سيكون ... بكل احترام وتقدير..
 - تكلم يا عقاب قلت ذلك ..
 - انا لا اعرف لي اب إلا انت ...
 - معك حق (قالت ذلك كوثر) أن هذا الرجل له الفضل علينا جميعا ولن انسى افضاله لكن الدنيا فيها الطيب وفيها ؟
 - وفيها النذل والخسيس مثل ابوك (قالت ذلك رباب) ..
 - لا تسبني ابي ... ارجوك وارحمي فتاة انت اليك تسعى بكل جهدا الضعيف وحالتها المعاقة أن ترضيك وتطلب منك العفو ..
 - ارجو أن تحترمين مشاعري انا فأنا لا اريد اسمع احداً يسب ابي او يشتمه ... فذلك يؤلمني مهما صار منه ولكن .. سامحك الله لا بد ان نكون جميعاً اكبر من الجرح الذي اصابنا وها انت الآن اصبحت في وضع افضل من الجميع ولذلك لا تكسري خاطري وأنا التي جئت اشتري رضاك وأنت تقدرني على كتم الغيظ حتى اخرج من عندك على الأقل ثم ان سب ابي لن ينفعك وما عوضك الله به خيراً من

استرجاع الماضي الذي عانينا منه جميعاً فلا تشتمي ابي امامي ارجوك
..ثم بكت...

- ماذا تريدني ان افعل ...؟
- على الاقل احترمي مشاعر فتاة مكسورة الجناح قد البسها الله اعاقة لا تخرج منها وهي تترجأك أن تكوني أكثر من بقية الناس رحمة بها
- فأنت في مقام امي وانا في مقام ابنتك ... انني جنّت اليك في بلجرشي وأنا بحالتي هذه لا اريد منك الا الصفح ... لكن الظاهر انه لم يشفع لي عندك لا اعاقتي ولا توسلي إليك فماذا.. افعل ... (ثم ارخت رأسها وأخذت تبكي ..)
- هذي صنيعه أبوك..... لقد اعاقني في فترة من حياتي انا ايضاً..... نعم لقد اعاقني في قلبي ومشاعري وأحاسيسي.. آه لقد مرّت بي فترة كنت فيها معاقة انا ايضاً..... لا تنكري ترددي في الصفح عنه.... لم يرحمني عندما تخلى عن القيم والأخلاق التي تحكم الإنسانية عندما انكر الجنين الذي احمله منه وتخلّى عني حتى تركني اتمنى الموت في ذلك الوقت ..
- فماذا تقول يا عقاب ..
- اتركي موضوعي أنا اولاً و أخيراً ان ترضى امي ..ثم انا لا اعلم الآن هل انت اختي ام لا ...
- تقدمت الى رباب ثم ربطت في عنقها شالاً كانت ترتديه على كتفها هو نفس الشال الذي كان معها في قرية الحفياء وهي تبكي وتردد... انا بالله ثم بك...والكرسي المتحرك يترنح امام رباب انا عند الله ثم عندك... وهي تبكي بصوت اجش تنفطر له القلوب ...
- قولي لا إله إلا الله
- خلاص يا ام عقاب ..اعفي واصفحي وجزاك الله خير ... (قلت ذلك أنا)
- خلاص يا بنت الحلال سامحك الله
- كان الوضع مبكي وكنا كلنا نبكي ..
- هدأت الغرفة وسكت الجميع ثم قالت كوثر :
- اسألك بالله يا عمتي وانت يا عمي هل عقاب اخي ام لا ...؟.
- بل هو اخوك ..(قلت ذلك انا)..

- اريد ان اسمعها منك يا عمتي ...
- نعم اخوك لكن ابوك أنكره وتبرأ منه قبل ان يولد..
- أبي سيكفر عن غلطته ويصلح ما أفسده وكل شي سيكون كما تريدون ...المهم ان لي اخ وانني لن ابقى وحيدة مقطوعة وان الله قد رحمني بوجوده معي... انا الان اخت عقاب .. وعقاب اخي وهذا يكفيني من الدنيا..
- حسنا .من حقك ان تقولي ذلك .. (قلت ذلك انا) ..
- سأحملك في عيوني ولن تضامي ابدا انت فقط قال ذلك عقاب ..
- هذا يكفي الان .فماذا تريدون من ابي ...يكفي انني انا اخت عقاب ..
- ابوك لابد ان يتقابل مع طاهر واخوته ثم يتفاهم معهم في كل شي (قلت ذلك انا)
- وهو كذلك ..

جلست كوثر عند رباب بقية ذلك اليوم ولم تذهب من هناك إلا بعد منتصف الليل وقد شعرت بالراحة وهم ايضا كانوا قد احبوها وعطفوا عليها .. اتفقنا جميعاً ان يقدموا طلباتهم التي يريدونها من سفيان بكري ... وتم ذلك بحضورنا جميعاً ..

ثم تقابل سفيان بكري مع طاهر واخوانه وتم كتابة ورقة الصلح وقام سفيان بكري بكتابتها بيده واقام عليها شهود باعترافه بأبنة عقاب واتفق الجميع ان يقوم سفيان بكتابة إحدى عماراته بأسم ام عقاب اما الاسم فقد اتفق الجميع ان يبقى على ما هو عليه اولاً (عقاب) حتى يتم التقدم الى ادارة الاحوال المدنية ثم يتعدل الوضع بموجب النظام من حيث اسم الأب والعائلة

وطلبوا منه ان يقف سفيان امام الناس في المسجد ثم يعترف لجميع المصلين ويقسم على ذلك يمينا امامهم بعد صلاة الجمعة انه اخطى وانكر ابنه وأنه يطلب الصفح ويشهدهم على ذلك ... فقبل ذلك كله وقام بتنفيذه ..

وبعد ان قام سفيان بما طلبوا منه عاد عقاب الى عمله اما انا ورباب فقد عدنا الى قرية الحفيا .. ثم قمت بأطلاع والدي وبقية اهلي على كامل القصة وما انتهت اليه :

- بيض الله وجهك يا ولدي والله ما يقوم بعملك هذا إلا رجل شهم..... أن الله لم يخيب ظني فيك احس انني صغير امامك مهما كبرت في سني..
- بالعكس تربيــــــــتـك يا أبي وانا اتعلم منك ..
- بيض الله وجهك ...وانت يا رباب الله ما اقوى قلبك ...الله كم انت صبورة وكتومة انه لا يصبر على مثل هذه الاشياء إلا اخت رجال وأشهد انك امرأه عظيمة..... على أي حال عادت الامانة الى صاحبها ولو اننا لم نكن نريد عقاب ان يخرج من اهله لكن ...ايضا ذهب عند اهله ...
- الله يجزاك بالخير يا ابو سعيد انت الخير والبركة وحننا نتعلم منكم الطيبة والصدق والصبر ..
- لا والله ...انت ويوسف اقوى منا واعظم مناوالحمد لله الذي بيض وجهك ووجه اهلك ..اشهد بالله انك تستاهلين كل خير ..
- الله ما يظلم برى ياعم ...
- كانت امي جالسة تبكي هي وسلوى ثم قالت امي:
- انا عرفت ان الموضوع فيه مشكلة كبيرةكانت رباب تصيح على تلك الفتاة التي حضرت إليها ...المعاقة وكانت تقول لها انقلعي ...اخرجي
-فعلا اذهلنا الموقف وتلك العصبية التي لم نعهدها في رباب وقد ساورنا الشك ان يكون الموضوع من اجل شراء بيت .. قالت ذلك سلوى..
- لم اكن انوي السماح انما كان وضع البنت صعب جدا وكنت انوي ان تذهب بعيدا ..وكنت احس ان حياة عقاب في خطر ...لكن الحمد لله ...
- عندما ذهب عقاب الى والده كانت كوثر على الباب تزغرط وتبكي اما ابوه فقد تقدم الى ابنه وقبل راسه وقال :
- انا من الواجب على ان اقبل راسك ثم اطلب منك السماح .
- لا عليك فالله غفور رحيم .
- هكذا اعماني الشيطان فاصفح عني يا بني ..
- لقد سامحنا جميعاً من أجل كوثر ...
- جزاك الله خيروهي ايضا جزاها الله خير فهي التي أعادتكم الينا..
- توكل على الله
- ثم سارت الامور بعد ذلك في طريقها الصحيح...

افتح ضلوعك واجمع الخير والحب
اليوم جمعة والله الله ف الاسباب
سامح ترى من سامح وقال : يارب
يفتح له الله في سما رحمته باب
فهدالمساعد

وانتهت القصة محمد عصبي الغامدي في ١/٧/١٤٣١ هـ